[redacted]

كليباتريك ، وليم هيرد .

التربية لأجل حضارة متبدلة .

DEC 1 R428 A879

70-2229

10 FEB 1973

17 Aug 64

370.973
K489eA

التربيـــــــــة

لاجـــل

حضارة متبدلة

تـــأليف

كيلباتريك

استاذ فلسفة التربية فى جامعة كولمبيا

تعريب

فاضل الجمالى

استاذ التربية فى دار المعلمين فى بغداد

نشر ملحقاً بمجلة التربية والتعليم

١٩٢٩

مقدمة المؤلف

يتفق الكل على أن الاشياء تتغير، و ان اختلف فى تعيين مناحى هذا التغير . و ان الموقف معقد بحيث يستطيع كل واحد تقريبا ان يتناول من مجموعة التغيرات نموذجا و يعتبره دليلا على اتجاه التغير . فالكثيرون مثلا يتناولون عالم المخترعات العجيبة وعظم منتجات الماكنات و ما أدت اليه من ازدياد فى السكان و وفرة فى الثروة، فيعدون الرقى العالمى حقيقة تاريخية ثابتة . بينما اخرون — وقد ينضم اليهم بعض من ذكرنا الان — يرثون لازدياد الجرائم والتراخى الاخلاقى وعلى الاخص بين الشبان . واخرون — مع اساس أقوى — يدعون بان التاريخ مفعم باخبار تدل على شكاوى الكبار من نقائص الشبان فى كل زمان، و ان زماننا هذا ليس شاذاً عن الازمنة التى سبقته . بين هذه التعقدات يقف العقل حائراً، ينشد منفذا للخروج، و ان كان لا يدرى كيف يسير .

و لئن كثر الاختلاف فى الاراء حول تطور الاشياء وأساليب ذلك، فان الاختلاف اكبر بكثير حول كيفية مجابهة هذه التغيرات . فلم تترك وسيلة عقلية — قديمة او حديثة — دون أن تطرق . فالدين والعلم والسياسة والاقتصاد والتربية، كل واحدة منها جربت بدورها فى علاج الحالة . وقد اتفق الكل على شئ واحد: الكل اجمعوا على التربية . اذ كل ما يجب تطبيقه سينطبق على الجيل القادم . ولكن اى نوع من التربية ؟ هنا ايضا تتشعب الاراء .

ان هذا الكتاب الصغير يحاول معالجة موضوع معقد كهذا : وهو لن يعالج الموضوع كله بل جزء صغيرا منه . ومهمته ابسط مما قد يفتكر البعض . ومواضيعه يمكن ان تلخص فيما يلي:(١) أيامنا تتغير — نوعا ما على الاقل — بصورة لم يسبق لها مثيل . (٢) هذه التغيرات تلقى تبعات جديدة على التربية . (٢) اذن فالتربية يجب ان تتغير كثيرا لتجابه هذه التغيرات. هذه القضايا والتصريحات الثلاث تشكل فصول الكتاب الثلاثة بالتتابع .

١

طبيعة حضارتنا المتبدلة

زماننا المتبدل

زماننا يتغير ، فهل نستطيع أن نكتشف اتجاهات هذا التغير ؟ التغيرات الظاهرية كثيرة . وفى هذه التغيرات بعض الاتجاهات المعينة التى نستطيع أن نقول أنها أكيدة ثابتة . فمنها تحسن المواصلات مثلا . فان المواصلات أخذت تنمو منذ عدة أجيال، وان نموها لم يكن فى السرعة فقط بل فى السرعة والانتشار معاً . وان اتجاه هذا التغير — على الاقل — يؤملنا بالاستمرار والبقاء. ثم ان الانتاج بالمكائن أخذ يحل محل الاعمال التى كان يجريها الانسان باليد والدماغ . اذ ان المكائن اخذت تنتشر فى جميع البلدان ، ولا زالت الطرق التى تستعمل فيها تتنوع . كما أن الحروب أيضا أخذت تنتشر وتزداد فى التخريب . وان الكثيرين من المفكرين يخافون على مدنيتنا نفسها، اذا ما شبت نار حرب اخرى. وفيما عدا المسائل البديهية ندخل فى جدال ومناقشات حول الاتجاهات والميول التى تسير فيها مدنيتنا . فما يدعيه البعض ميلا لمدنيتنا هذه ينكره البعض الاخر . وما يحب البعض انتشاره من الميول والاتجاهات يعاكسه البعض الاخر . ويظهر من هذه الاحوال المضطربة فى الظاهر، أن البحث عن الوجهات الشاملة لسير مدنيتنا غير ممكن .

ان مهمتنا — لحسن الحظ — تحملنا الى حيث لا جدال ولا مشاكل . اذ أننا لن نكتفى بالبحث عن الظاهريات السطحيات فقط من الميول والاتجاهات، بل سننزل الى ما تحت السطح، علنا نستطيع أن نجد اتجاهات هى أكثر ثباتا وشمولا من الاتجاهات الحاضرة . ومتى وجدنا تلك

الاتجاهات الثابتة، فانا نستطيع أن نضع الاساسات الصحيحة للمنهج التهذيبي الذى يستدعى اهتمامنا .

من أين نبتدئ بالبحث ؟ ان كلمة الجديد لاتزال تتردد على افواهنا: ما معناها ؟ وهل من مبرر لاستعمالها ؟ وهل من شئ يعمل فيجعلنا نميز بين العصر الجديد وبين القديم والمتوسط ؟

متى القينا أسئلة كهذه لاشك فى أنا حاصلون على أجوبة واضحة أكيـــدة .

ان الفحص والتنقيب يكشفان لنا عاملا واحداً يميز العصر الحاضر عما قبله تمييزاً أساسيا . وهذا العامل هو انتشار الافكار المفحوصة —أى العلم— وتطبيقها على حياة الانسان واعماله. فيظهر أن العلم الحديث المبنى على أساس فحص الفكرة وتحقيقها هو العامل المفرق بين العصر الجديد وما قبله ، وهو الصفة التى يتصف بها عصرنا .

الافكار المجربة والمفحوصة ، مفسرة لعصرنا المتبدل

الافكار المجربة والمفحوصة— ان هذه العبارة جديدة على اسماع البعض . ماذا تعنى ؟ لنرجع فى شرحها الى غاليلو فهو الذى عرف العالم فى سنة ١٥٩٠ بطريقة التفكير الجديدة — القديمة حينما رمى بصورة تمثيلية كرتين مختلفتين فى الثقل من قمة منارة « بيزا » المائلة . لقد كانت تعاليم ارسطاطاليس تقضى بانك لو رميت كرتين ثقل الواحدة منها خمسة اضعاف الاخرى من مكان مرتفع لوصلت الكرة الثقيلة الى الارض فى خمس المدة التى تصل فيها الخفيفة اليها . وذلك لانها اثقل من الاخرى خمس مرات . كانت هذه التعاليم تظهر لاول وهلة بديهية وطبيعية، بحيث مرت تسعة عشر قرنا ولم يناقش احد صحتها ولم يتجرأ على السؤال عنها . كان التسائل شائعاً فى الحلقات العلمية من قديم الايام . ولكن الجواب

لم يكن مبنيا على طريقة التجربة والعيان بل على الجدل والحجة. ولنوضح هذه النقطة اكثر من ذلك : ان العلماء الحقيقيين في القرون القديمة والوسطى كانوا اكثر جدلا من علماء اليوم . ومن المرجح جدا بان العلماء ، ورجال المدارس منهم على الاخص ، كانوا قد تضلعوا في المنطق وبرعوا في استعماله بحيث استطاعوا ان يدخلوا في مجادلات واسعة ، ويتوصلوا الى نتائج عقلية اكثر مما يعنى بها علماء اليوم . واذا ماتفوق العصر الجديد على العصر القديم، فليست ذلك في نوع جدلياته ، بل بالمبدأ الذى نشره غاليلة وهو ان الفكرة يجب ان تفحص وتجرب بنتائجها العيانية قبل ان يقدم على قبولها .

نستطيع أن نتصور في مخيلتنا ذلك المنظر : نحرش غاليلة بحجة ارسطاطاليس، فاحتدم من جراء ذلك الجدال . دعا غاليلة رجال جامعة بيزا الى مشاهدة التجربة وان منارة بيزا اصبحت مختبرا وقاعة للايضاح العام في الوقت نفسه . وزنت الكرتان ورميتا معا ، ولكنهما بالرغم من تعاليم ارسطاطاليس وصلا الى الارض معا . فاكتشفت اذذاك قاعدة جديدة في الفيزياء ـ وماهو اهم منها: سير جديد في المنطق ـ نحن الذين نعرف ماذا نتج من هذا الخروج على المنطق، لا يسعنا الا ان نتعجب من ان هذا الحادث لم يكن مهما في وقته. ونوافق «وايتهد» White head بانه لم يحدث في التاريخ شيء صغير كهذا يأتي بحركة كبيرة منذ ولد المسيح. ان الذين حضروا التجربة اقتنعوا بالفيزياء الجديدة على الاغلب ، ولو أن بعض الكبار بقوا في شك منها . لم تحدث مناقشة طويلة — على مايظهر — حول الخروج على السير القديم في المنطق . ان هذا الخروج وهذا الانتقال من الجدل الفارغ الى فحص المفروضات بنتائجها العيانية هو افضل مفتاح نستطيع به تفسير العالم الجديد .

ان فحص النظريات بالحقائق العيانية، من المسائل البدهية التي يعتقد

بضرورتها كل شخص متجدد الفكر . وان هذا الاعتقاد بضرورة تطبيق النظريات وفحصها قد رسخ فى الاذهان ، بحيث صرنا نخشى الوقوع فى خطر اهمال بعض مضامينه الاساسية ، فلا نعود ندرك لماذا لم يدرج استعماله من قديم الزمان. يتضح لنا السبب ، متى عرفنا بان الفكر والعقل كانا بلاشبهة فوق المادة والحسيات من قبل ايام افلاطون. وان هذا الاعتقاد انتقل الى اباء الكنيسة واتخذ معنى روحياً وظهر فى تفضيل الروح على المادة (اللحم) . من هذه الملاحظات ، نرى ان غاليلة قد قام بانقلاب عظيم ، حين دعا الناس الى تصحيح العقل الاعلى والروح بالمحسوسات . وان ما يصيب الفلسفة وما وراء الطبيعة من هذا الانقلاب عظيم جداً: ولا عجب اذا كان تأثير هذا الانقلاب بطيئا ، وكان ابطأ منه الاعتراف به.

ان قبول الافكار المجربة دون سواها يزودنا بمجموعة معلومات يمكن التعويل عليها . « الطبيعة تسير على نسق واحد » هذا مانستطيع أن نقوله . أى أن الظروف المتشابهة تنتج نتائج متشابهة . ومن هذا نتعلم بأن الفكرة التى تفحص جيداً وتثبت صحتها مرة ، يجب أن تجتاز الفحص مرة اخرى . نحن لا نعرف بالطبع فحصا نهائيا ، فان أساليب التحليل الجديدة فى الفحص تصبح أدق وأضبط يوماً فيوما . ومع ذلك فيمكن ضمن ظروف معينة أن تفحص فحصا وافيا نحصل به على نتائج يعول عليها ضمن حدود معينة .

خذ الكيمياء مثلا ، فهى تتبدل . ولكن نتائجها المفحوصة ستبقى معولا عليها . كان الكيماويون يفكرون بالذرة قبل جيل بما تدل عليه الكلمة اليوم . وهى العناصر الاساسية التى تتركب منها المادة . ان علم الكيمياء كان نوعاً ما مبنياً على هذا الاساس: أما اليوم فصرنا نعرف بأن كل واحدة من هذه الذرات مركبة من الكترونات غير متناهية

فى الصغر بالنسبة للذرات ، وأن هذه الالكترونات تدور حول مركز ، والمجموعة تشابه — بصورة تقريبية — نظامنا الشمسى بشمسه وسياراته . يحق لنا ان نتساءل فى هذا الموقف ، هل نزلت الكيمياء عن عرشها عند سقوط نظرية الذرات ؟ كلا . انما جددت بعض التقارير النظرية . وستتأثر كيمياء المستقبل بالنظر لهذا التعبير الجديد . أما الكيمياء القديمة التى بنيت بكل صبر وجلد على أساس الفحص والتجريب فستبقى ثابتة . وبقدر ما كان الفحص جيداً على الاساس القديم تكون النتائج القديمة صحيحة ، سواء كانت الذرات أو غيرها . فكلما فحص جيداً فى الماضى سيبقى صحيحاً ضمن تلك الحدود . نحن لا نزال نستحصل حامض الكبريت كالسابق . والفحص يعطينا ضمن حدوده نتائج يمكن أن يعول عليها ضمن تلك الحدود . وان مبدأ الفحص الذى دعا اليه غاليلو أدى بهذه الطريقة الى تجمع أفكار يمكن التعويل عليها .

ليس تجمع هذه الافكار التى يمكن التعويل عليها وحده هو كل مايكون العالم الجديد ، بل يشاركه الميل الذى سار مع هذه الافكار جنبا الى جنب ، لتطبيقها على الحياة والاستفادة منها فى تحسين حالة الانسان . فان اليونانيين مثلا لم يهتموا بتطبيق الافكار والاستفادة منها الا قليلا . اما اليوم فقد وصل الاهتمام بتطبيق الافكار والاستفادة منها فى الحياة الى حد الجنون ، حتى صار البعض ينددون ببعض مظاهر هذا الاهتمام . اما نحن فلا نقصد التقدير لهذا الاهتمام ، وانما نشير اليه فقط . ان الاختراعات ، فى الحقيقة ، كلها تبعت الاكتشافات العلمية المختلفة . ومن الاقوال الشائعة ان الكهربائية تستخدم اليوم فى ٦٥٠٠٠ طريقة . ومهما كان العدد الحقيقى لطرق تطبيق الكهربائية واستخدامها ، فان المقصود منه واضح . وصفوة القول فان الافكار المفحوصة وتطبيقها على حياة الانسان يكونان وجهين متلازمين لعامل

ابتكارى واحد، به يصبح العالم الجديد جديداً .

ان مجموعة الافكار ، المتزايدة على الدوام ، ليست مصدراً لابتكارات جديدة فى تطبيقها على الحياة بصورة مستمرة فحسب ، بل هى ذات تأثير عميق فى جعل الانسان يقف موقفاً جديداً ازاء نفسه وازاء الحياة . وان هاتين الملاحظتين — وسنفصل البحث فيهما فى مكان آخر — الناتجتين من الافكار المعول عليها ، من العوامل الاخرى التى تشترك فى تكوين الحياة الجديدة .

ومن المناسب فى هذا المكان أن نقول كلمة عن الطباعة ، صديقة الافكار المفحوصة . لاشك فى أن الطباعة كانت موجودة قبل أيام غاليليو ، وكانت تعنى اذ ذاك كما تعنى اليوم بتسهيل نشر الافكار ، مفحوصة كانت أو لم تكن ؛ وصحيح أيضاً بأن الطباعة تؤدى ولابد الى التثقيف العام بما ، ينتج عنها من ازدياد الكتب ؛ وان وجهتى المسألة قد تأثرتا بالفعل من تطبيق العلم فى الاساليب المختلفة . فالطباعة نفسها قد تضاعف تأثيرها بتحسين المطابع وتقويتها ، سيما فى أشكالها الجديدة اولا وبتوفر وسائط النقل ثانية . ثم يجب أن يضاف الى المطابع الاستعمال الحديث للصور ، على اختلاف أشكالها ، والراديو ، لاكمال سلسلة « الوسائط الحديثة لنشر الافكار » . أما التثقيف فقد أصبح ممكناً بدرجة لم يسبق لها مثيل ، لازدياد الثروة أولا ، وللحاجة اليه الناتجة من تجمع الافكار المفيدة ثانياً . وفى كل ذلك تسير الطباعة والافكار المفحوصة كحليفتين متعاهدتين جنبا الى جنب ؛ الواحدة تساعد الاخرى على تحسين عملها .

وصفوة القول ، فمن أى ناحية نظرنا الى المسألة ، نجد أدلة جديدة على عظم الدور الذى لعبته الافكار المفحوصة فى اعطاء العالم الجديد صفاته المميزة له . ربما كانت هذه الاختلافات كمية لا نوعية ، فقد

تكون كل الاختلافات — فى التحليل الاخير — كمية فقط . وبالرغم من هذا كله فان الفرضية القائلة بأولية تأثير الافكار المفحوصة على العالم الجديد تستدعى الاستزادة من درسها . فلنسأل اذن ، ان كانت هذه الفرضية صحيحة ، ما هى النزعات الناتجة عنها؟

نزعات الحياة الجديدة

لو درسنا الحياة الجديدة لوجدنا فى عروقها ثلاث نزعات أساسية : النزعة العقلية المتبدلة ، والنزعة الصناعية ، والنزعة الدمقراطية. ولو نظرنا الى هذه النزعات الثلاث بنور واحد ، لرأينا أنها — الى درجة كبيرة على الاقل — ناتجة عن الافكار المفحوصة التى كنا بصددها الان . وفى بعض الوجوه ، ما هذه النزعات سوى مظاهر حقيقية لها . وأقل ما يمكن أن يقال انها تكيفت بها الى درجة كبيرة . ولو نظرنا من ناحية اخرى لوجدنا أن هذه النزعات تتطلب مطاليب معينة من التربية الحديثة .

نؤجل البحث فى مطاليب هذه النزعات من التربية الحديثة الى الفصل الثانى . انما هنا نريد أن نوضح العلاقة الموجودة بين هذه النزعات الثلاث وبين الافكار المفحوصة .

النزعة العقلية المتبدلة

النزعة العقلية المتبدلة ظاهرة فى كل مناحى الحياة ، مهما اختلفنا فى أساليب وصفها . فالاوضاع العقلية القديمة الموجودة فى شعبتى المسيحية الغربية على السواء لم تكن لتثق بملكات الانسان الطبيعية ولم تعتمد على تفكيره . فلا يستطيع الانسان فى نظرها أن يتوصل الى استنتاجات يعتمد عليها ، ما لم تمده قوة خارجية . اما اذا امدته سلطة خارجية فانه يستطيع بدون استعمال الفحوص التجريبية أن يتخذ لنفسه مبادئ قطعية ، عليه قبولها واتباعها . ولهذا ، فالايمان الصحيح ليس فى داخل الانسان بل

فى خارجه . اما مايستطيع أن يعمله الانسان من نفسه ولنفسه — رسمياً وفى العقليات على الاخص — فهو التشكيك . فقد كان الانسان « لا يستطيع أن يفتكر أو ان يقوم بأى خير قط ».

قد نغالى لو قلنا أن مذهب التشكيك قد مات تقريبا ، ولو ان بعض مظاهره الفعالة تدل على وجـــوده حتى اليوم . وعلى كل ففى عالم العقليات قد تبدلت الاوضاع تماما ، اذ قد اصبح ايمان الانسان بقـوة تفكيره ثابتا ، وهو بفحص افكاره يستطيع أن يثبت صحتهـا ضمن حدود الفحص . فى الاساليب العلمية اليوم نوع جديد من الطمأنينة وشعور جديد بها . وبفضل هذه الاساليب يستطيع العقل الجديد أن يسير غير هياب ولا وجل فى تكسير الذرات او فى تبطيـــل قانون نيوتن . وصرنا ندرك اليوم بان كل حادثة علميـة جديدة هى بمثابة انتصار للافكار المفحوصة لا انكسار لها .

ان الطريقة العملية ايدت نفسها بجعل الفحص ادق . وان الانسان هو الذى عمل هذه الطريقة ، فاذن فالانسان تأيد بهذه الواسطة .

كان الانسان فيما مضى يخشى العالم « الغير المنظور » الذى يحيط به ، وكان يعتقد ان هذا العالم مملوء بالمخلوقات التى يصعب ان لم يستحل عليه ضبطها وتسييرها . وكان الانسان يخشى ما يدعى « بعالم الطبيعة » ايضاً . اذ هذا ايضاً كان يجرى بدون نظام وكان اما متحداً مع قوى الشر (الشياطين) او خاضعاً لتأثيرها . وقد يظهر غريباً لاول وهلة قولنا بان احسن الناس فيما مضى كانوا يبتهجون بضعف الانسان وعدم مقدرته على مكافحة مصاعب الحياة . ولكن هذا الشعور أخـــذ يزول يوماً فيوماً حتى من الذين يدعون خلاف ذلك . ان كان الانسان الجديد يخاف ، فخوفه مختلف عن ذى قبل . داء السرطان لا يزال بيننا ونحن لا نستطيع منعه ولا ضبطه ، الا الى درجة محدودة . ونحن وان كنا نخافه ولكن خوفنا

منه مختلف ، واوضاعنا نحوه مختلفة . ذلك اولا لانداء السرطان ليس « بدون قانون » وان كنا لانعرف قانونه بعد . وثانياً لان لدينا أساليب أكيدة فى البحث عنه؛ ونأمل أن نتغلب عليه يوماً ما .

ومن المزايا الظاهرة لهذه الاوضاع الجديدة النزعة لانتقاد المؤسسات الاجتماعية ومحاولة تبديلها كما تقضى بذلك نتائج الانتقادات . فالجميع حتى عامة الناس صاروا يعتقدون ان المؤسسات انما وضعت للانسان وواضعها هو الانسان نفسه؛ اذن فهى قابلة التبديل متى ظهر بانها لاتفى بالمطلوب . وهذا الاعتقاد لا يبقى شيئاً بدون تمحيص . حتى أننا صرنا نشاهد شيئاً من التطرف عند بعض الشعراء والروائيين وكتاب القصص الذين يحتمون على الناس تجديد أفكارهم وطقوسهم الدينية ونظامهم العائلى ونظرهم الى الاخلاقيات بصورة عامة وأساليبهم الصناعيـــة وحقوقهم فى الملكية ورأيهم فى الحروب حتى وفى الحكومات . وحقاً انهم لا يستثنون شيئاً من الانتقاد لمجرد كونه مقدساً فى نظر الاخرين . فكل شىء يجب أن يجتاز الفحص من جديد . ومهما اختلف اعتقادنا فى كل من الانتقادات المختلفة ومهما اختلفنا فى نظرنا الى التحسينات المقترحة ، فانا نتفق على وجود هذه النزعة الانتقادية بكل جلاء .

فى موقف التساؤل هذا ، قد يسأل البعض ان كانت النزعة الفكرية الحاضرة تفوق النزعة التى ظهرت من قبل عند السفسطائيين . فقد كانت لليونانيين مرونة عجيبة فى التفكير . وقد يشك البعض فى كوننا أكثر صراحة منهم فى التنقيد . ومع ذلك فالاوضاع الحاضرة تختلف عن الاوضاع القديمة . فان مجموعة الافكار المفحوصة ، الدائمة النمو ، تجعل شمول الانتقاد كل شىء وتوجيهه الى كل شىء أمراً محتما . فالجميع ، حتى الذين لا يهمهم أمر التفكير ، يندهشون عندما يشاهدون انتصارات

العلم من الوجهة العملية . و « التقدم » أشغل أذهان الجمهور اليوم . وقد نعترف بان التفكير ، واقع وان كان غير موزون ، وان كنا لا نحبذ أساليبه الحاضرة . فما يستدعى تحبيذنا هو الميل للحكم على المؤسسات الاجتماعية بنتائجها فى الحياة . وان هذا العيار وان كان صعب التطبيق ، الا انه يدلنا على الاتجاه نحو وضع منهج وخطة للعمل . ولا يقدر قيمة هذا الاتجاه الا الذين جربوا المجادلة مع من يتمسك برأى « الكنيسة العالية » بخصوص مسألة الطلاق . فلا مجال للتفاهم مع خصم كهذا . اذ ان النتائج فى نظره لا تكفى لحل المسألة . ومهما كان تطبيق هذا المعيار — أى البحث عن النتائج وتقديرها — صعباً ، فانه يؤدى بالمسائل الى التفكير والتجربة .

اذن فقد ظهر بان النزعة لفحص الافكار قبل قبولها أخذت تتسرب الى جميع الاوضاع العقلية فى زماننا تسرباً بطيئاً ولكن أكيداً . وقد وجد الانسان بهذا المبدأ ايماناً جديداً . وأخذ ينظر الى العالم الجديد بعيون جديدة ، فيرى المرئى وغير المرئى . اما أن فى هذه النظرة من اخطار ، فلا ننكر ذلك وسنشير الى بعضها فيما بعد . فقد رأينا واحدة منها وهى اندهاش العامة الزائد بنتائج العلم العمليه ، حتى أنهم أصبحوا يتلقون كل ما يجئ اليهم باسم العلم بدون فحص وانتقاد . ومن الوجهة الثانية ، ففى الميل للحكم على المسائل بنتائجها ربح عظيم . كان الرجل العملى ، يحكم دائماً ولو الى درجة ما على المسائل بهذه الطريقة . ولكن على المسائل الصغيرة والغير مؤسسة فقط . حتى انهم قد تكلموا عن المسائل الهامة أيضاً . فقالوا : « المؤسسات وجدت للانسان » وانها كالاشجار يجب أن يحكم عليها « بأثمارها » . وبالرغم من كل هذا فقد كان نفوذ التقاليد قوياً ، وان قدسية المؤسسات القديمة لم تسمح للانسان أن يفتكر باعتبار النتائج الا تدريجاً . حتى الان لم يستفد من النور

الجديد الا افراد قلائل. ولكن النزعة آخذة بالانتشار. وان قيمة الفحص بالنتائج أخذت تظهر رويدا رويدا وبكل تأكيد. وان نظرة الانسان العقلية تتجدد بذلك فى طرق مختلفة .

النزعة الصناعية: رءا لمذا الجديد

ان النتائج الاجتماعية الناجمة عن الحركة الصناعية النامية عديدة وذات أثر بليغ . وان وصف هذه الحركة قد تكرر على الاسماع والابصار بصورة جيدة ومستمرة، تجعل الانسان يتردد فى طرق هذا الموضوع. وان اختيارنا للنقاط التى سنعالجها فى هذا البـــاب وان كان عندياً الا أنه ليس صدفياً . فقد حصرنا البحث فى النقاط التى تتطلب مطاليب خاصة من المدارس .

من أجلى اثار النزعة الصنـــاعية الحديثة النمو المستمر فى الوحدة الاجتماعية . يوازى ذلك ازدياد فى الارتباط المتبادل بين اجزاء هذه الوحدة . فقبل ايام الماكنات كل قرية كانت تسد حاجات نفسهـــا بنفسها الى درجة كبيرة . فالمطعم والملبس والمسكن كلها كانت بسيطة الى درجة تجعل الحصول عليها من المقاطعة المحلية امراً يسيرا . وربما كان هذا يصدق حتى على الاغنياء الذين يعيشون فى المدن. فانهم قلما يأتون بشىء من البلدان النائية، اللهم الا الاشياء العائدة للبذخ والترف. وفى نظام اجتماعى كهذا كانت العائلة هى العامل الصنـــاعى الرئيسى، تنضم اليها النقابات فى المدن . ولكن الماكينات ذات القوة احدثت تبدلات أساسية فى الوحدة الاجتماعية. ففى الغزل والحياكة مثلا. باختراع مكائن الغزل والنسيج قامت المعامل مقام العائلة. وباختراع محالج القطن وازدياد وسائط النقل صار القطن والصوف يقتنى من امريكا واستراليا ويشحن الى أماكن تبعد الاف الاميال كى يغزل فيها، ثم يشحن الغزل ايضاً لينسج ، ويشحن هذا ليخاط ؛ ثم ترسل الملابس الى الاف الاميال وتوزع

فى الاف البلاد كى تباع هناك . والمواد الخامية كذلك يؤتى بها من الاقطار القاصية والدانية فتحول الى منتجات عجيبة ثم تشحن هذه المنتجات الى اجزاء العالم المختلفة . فهذه الوسائط قد اتصل كل جزء من الكرة الارضية بالجزء الاخر . ويمكننا أن نقول عن هذه الاجزاء ان الواحد منها قد تعلق بالثانى . وكما ان اجزاء العالم اصبحت متعلقة الواحدة بالاخرى ، كذلك الافراد ، فبازدياد توزيع الاعمال وتقسيمها اصبح كل فرد متعلقاً بالاخرين .

أما ازدياد هذه النزعات فشىء واضح ، لايحتاج الى اثبات . ومانمو التعلق المتبادل والارتباط بين الاجزاء ، سوى أوجه متلازمة لنفس السير الاجتماعى . المخابرات — وهى الجانب المفكر لهذه الوحدة — قد ازدادت أكثر بكثير من غيرها ، سواء كان ذلك فى السهولة أم فى سرعة انتشار الافكار . ان يوليوس قيصر كان يرسل مكتوباً من روما الى باريز بالسرعة التى كان نابليون يرسل كتابه فيها من باريز الى روما . فالطرق لم تكن أحسن فى ايام نابليون منها فى ايام قيصر . والخيل لم تزدد فى سرعتها . ولكن منذ ايام نابليون الى الوقت الحاضر وجدت اربع وسائط سهلت نقل المكاتيب والمطبوعات تسهيلا كبيراً : الباخرة والقطار والسيارة والطيارة . كما أن اربع وسائط اخرى تكاد لا تحتاج الى وقت لنقل الكلمات : التلغراف ، والسلك البحرى ، والتلفون ، واللاسلكى .

واذا اردنا أن ندرك حقيقة اهمية هذه فى نقل الافكار فلنقارن بين جريدة كانت تصدر فى ايام نابليون وبين افضل ماعندنا اليوم . ان كل نشرة تصدر فى الصباح من جريدة « الاوقات اللندنية » او « الاوقات النيويوركية » تحمل حوادث الامس التى جرت فى جميع انحاء المعمورة ، ولا سيما باستعمال الراديو ، فانها تحصل على الاخبار من اى نقطة على وجه الكرة مهما بعدت . ان أفضل جريدة فى ايام نابليون لم يكن لديها منابع واسعة

لم يكن لديها منابع واسعة تستقى منها الحوادث كما تفعل جرائد اليوم اذ أن الكثير من اخبار أجزاء العالم لم تكن سهلة المنال ؛ وما كان منها يمكن الحصول عليه لم ينشر الا بعد مرور شهر . ونحس بالفرق متى عرفنا ان خبر نشوب حرب New Orlouns نشر بعد مرور خمسة عشر يوماً على عقد الصلح . ان المخابرات وهى فى الحقيقة الجهاز العصبى للهيئة الاجتماعية قد نشرت نفسها وزادت فى سرعتها بصورة مدهشة . وبازدياد المخابرات أضف اليه ازدياد الاسفار وتبادل البضائع اصبح العالم الاجتماعى عالماً مختلفاً. وفى الحقيقة لايزال الميل نحو هذه الوجهة يزداد ولانستطيع أن نرى له حداً ولا نهاية .

احدى نتائج هذه الحركات التى بحثنا عنها الان الميل لتجمع السكان. فلاسباب اقتصادية أصبح المعمل الصغير اكبر واتحدت المعامل فشكلت الشركات المسجلة . والكبيرة من هذه أصبحت اكبر ..

ثم نشأت حول المعمل بلدة وتكاثرت المعامل فشكلت « مدينة » وهذه تكبر يوماً فيوماً بمجيء السكان اليها من الارياف . ولا تزال الهجرة تزيد فى ضخامة المجموع. وفى الوقت نفسه تقوم المنتجات المتزايدة بحاجيات السكان المتزايدين . وان التشكيلات الناجحة تنمو مهما كان نوعها . وصفوة القول نرى العظمة قد زادت فى جميع الوجوه .

ان هذه الضخامة فى المنشآت تكاد تغمر كل شيء . فبينما الفرد قدقلت قيمته على مايظهر قد ازداد عدد الاشخاص الذين يشتغلون تحت أيدى الاخرين ازديادا مطرداً بنشوء الشركات بعد أن كان الفرد فى السابق يدير اشغاله بنفسه. والفرد بتعلقه بالاخرين يجد أن هذا التعلق يزداد يوماً فيوماً بنمو المنشآت . فالمجال قد قل لمعرفة الفرد اسباب الاشياء . والانسان الاعتيادى يشاهد يوماً فيوماً أن الغير يقوم بالتفكير لاجله ولذلك فقد قلت قيمة آرائه الشخصية . وفى ظروف كهذه يكثر نفور الافراد

مالم يجدوا مخرجا لارائهم . وفى الحياة السياسية يحابه المواطن حالة شبيهة بهذه عينها .

فبازدياد السكان الناخبين يقل تأثير صوت الفرد . ومن السهل أن يسأل الناخب «ما تأثير صوتي؟» ومن السهل أن يجيب نفسه أن « لا اهمية له على كل حال » وقد يعزى سبب سقوط نسبة الناخبين فى امريكا من ٨٠ بالمئة الى ٥٠ بالمئة الى هذه الافكار . وهكذا ينتج مايدعى «باستسلام الجماعات الى القضاء والقدر » وهو الاعتقاد بان للتفكير مجالا ضيقاً جداً للتأثير مادامت هناك جماعة كبيرة يعسر اقناعها . وبذلك تأخذ مسؤولية الفرد بالتقلص فتعقب ذلك فردية أنانية بكل سهولة . وهذا هو الشر الكبير الناجم عن شمول الضخامة كل شئ .

ان للوحدة النامية التى بحثنا عنها انفاً تأثيراً عميقاً فى حياة الامم . فالامة الامريكية مثلا كانت فى بداية تاريخها منعزلة عن العالم وكان عدم تبادل المنتجات وصعوبة المخابرات مما يساعد على ذلك الانعزال حتى بين مستعمرات حكومة واحدة . وان الثورة الناجحة لم تربط الحكومات ببعضها بل ولدت بالعكس حسدا فيما بينها . ولكن القانون الاساسى — لحسن الحظ — جعل التجارة الداخلية بين الحكومات متمركزة ففكت بذلك الوحدة القومية من السلاسل والقيود . ولما زادت المواصلات والاسفار تبودلت المصالح والاخبار تم الاتحاد بين الحكومات الامريكية بالرغم عن الحرب المجزئة . ان خطوط المواصلات البحرية الامريكية بعد أن بلغت مابلغته من المجد لم تعد تستدعى افتكارنا فيها . والوحدة النامية فى دور عملها الان . ولكنها هل تقف عند هذا الحد ؟ وهل الامة هى الحيز النهائى الذى ستعمل فيه هذه الوحدة ؟ كلا . قد يصدق كل ما نقول عدا قولنا ان التجارة والمواصلات ستقفان عند حد الامية . فحيثما تكون الانسانية فهناك الوحدة . فهل

ستتحقق هذه الوحدة؟ وهل ستستمر؟ نحن لا نرى سبباً - على ما يظهر - لوقوف السير. فتطبيق الافكار على الاختراعات أضف اليها تنوع الموارد الطبيعية؛ كل هذه تعمل على تكوين صناعة دائمة النمو والتنوع. وهذه تعني تبادل مستمر لاشياء متنوعة. وازدياد المواصلات المطرد يعني وحدة دائمة النمو. قد تؤخر الكمارك والمشاحنات التجارية هذا السير ولكنها لن تستطيع أن توقفه مالم تنحل عرى هذه المدنية. فان نمو الوحدة يملئنا بالاستمرار. ولاشك فى أن تأثير هذه الوحدة على العلاقات البين الامية واضح. فان الامم لا تعود منعزلة الواحدة عن الاخرى فيما بعد بل تعود الروابط بينها يوماً فيوماً. قد تنشأ مشاكل فيما بينها ولكنها يجب أن تحل. ولابد يوماً ما من ايجاد وسيلة - غير الحرب - لحل المشاكل الامية العامة. اذ ان الحرب فى وحدة عالمية متكاملة تعني انتحاراً اجتماعياً. اذن فالنزعة الصناعية تؤدى الى نمو الوحدة الاجتماعية ولنمو الوحدة تأثيرات بليغة فى الحياة.

النزعة الدمقراطية

النزعة الثالثة من النزعات الاساسية الجديدة تكفل ذلك الاحترام للانسان الذى ندعوه بالدمقراطية. وليس ضرورياً ان نحصر انتباهنا فى دمقراطية الحكومات وحدها. فان الحركة شاملة تتعدى الحكومات فى تأثيرها. تتحد فكرات عديدة فى تكوين الدمقراطية وربما كانت اهمها اعتبار كل فرد من افراد الامة كشخص ومعاملته على هذا الاساس. اضف الى ذلك ان العالم بما فيه من مؤسسات ومنابع للثروة وجدت للانسان لتنشئته واظهار قواه. واخيراً، بما ان الانسان لا يكون انساناً الا فى المجتمع اذن فيجب تنشئة كل فرد واظهار قواه بحيث يمكن تنشئة الجميع واظهار مواهبهم فى وقت واحد ومعاً. بشرط ألا يظهر واحد على حساب الاخرين.

ان النزعة الدمقراطية هى اقل النزعات الثلاث — المار ذكرها — علاقة بتطبيق الافكار المفحوصة بالمباشرة. حتى ان البعض يدعون بان الدمقراطية و النزعة الصناعية على طرفى نقيض. ولكن هذا الادعاء على مايظهر مبنى على ظن باطل. فالدمقراطية هى الحياة الاجتماعية الحقيقية وهى الحياة الاخلاقية. نحن لانتكر بان النزعة الصناعية الجديدة اوجدت مشاكل للدمقراطية. ولكن هذه المشاكل هى مشاكل التمدن بل هى مشاكل الحياة نفسها. ولقد قيل بكل وضوح بان الانسان اما ان يضبط الصناعة ويحكمها أو تحكمه الصناعة وتخمد انفاسه. ولا يعنى هذا اكثر من ان للاحوال الصناعية الحديثة مظاهر انلم تضبط وتدار فانها سترد مطاليب الدمقراطية و تنقلب عليها بل على الحياة نفسها.

فالدمقراطية كما بيناها ما هى الا الجهود المبذولة لتأسيس المجتمع على الاداب. تلك الاداب التى تسمح للكل أن ينشأوا وان تظهر قواهم معاً. بالرغم من انتشار انواع الحكم المبنى على الديكتاتورية او حكم الرعاع أو الرأسمالية وبالرغم من الانانية المحتكرة حيثما وجدت نستطيع أن نقول باطمئنان — على ما يظهر — انالانسان سوف يأبى أية خطة من الخطط الاجتماعية لم ترتكز على الاسس الدمقراطية. التيار عميق جداً. وكل تسوية لم تبن على أساس المساواة فى المعاملة ستبقى مختلة الموازنة. والدمقراطية لحد الان هى المنهج الوحيد الذى يؤملنا بالدوام والاستمرار.

وفى تلخيص التقدم الذى حصل لحد الان نقول ان الافكار المجربة و المفحوصة هى العامل الاهم بل الوحيد الذى دخل فى تكوين العالم الجديد وجعله بالشكل الذى هو عليه اليوم. فقد شاهدنا هذا العامل يعمل فى تبديل أوضاع الانسان الجديد. وقد شاهدناه فى نشره الصناعة يعمل على تجديد شؤون لحياة الجديدة. وقد وجدنا بالفعل ان الدمقراطية هى من المطاليب الاساسية

للاخلاق الجديدة وها نحن نقـــدم الان على ملاحظة نتيجتين لكل ماسبق ذكره أعنى تيارين قويين فى هذه الايام على الاخص يتطلبـــان مطاليب بعيدة المدى من المدنية الحديثة . وهذان التيـــاران هما أفول السلطة الموضوعة اولا وازدياد أهمية « التبدل » فى وجهة نظرنا الى الحياة ثانياً .

افول نجم السلطة الموضوعة:

السلطة الموضوعة يجب أن تميز عن السلطة الطبيعية وربما كان أجلى فرق بينهما كون الواحدة منهما داخلية والاخرى خارجية. فالسلطة الطبيعية هى تلك القاعدة أو المنهج الذى يقبله العقل عندما ينظر الى الموقف « كما هو » بدون تحيز أو تأثر . وان هذه السلطة هى فطرية متأصلة فى عملية التفكير نفسهـا . وعليه فهى داخلية تقبلها النفس كشىء منها . اما السلطة الموضوعة فتستدعى الخضوع لسلطان التقاليد وقبول السلطة التى تستدعى الخضوع لها بدون سؤال أو اعتراض وبدون ان تتدم هذه السلطـــة لوجودها اسباباً او مبررات عدا تثبيت نفسها . ان سلطة كهذه اذا ما استعملت فهى غريبة ، « خارجية » عن النفس الموجهة اليها . وان بعض الحوادث التاريخية توضح الفرق بين السلطتين :

لقد مضى الزمن الذى كان يدعى فيه الملوك المستبدون بأنهم يحكمون « بالحق الالهى » وكان الناس اذ ذاك يعتقدون بان هذا الحكم نازل من السماء وهو ملقى عليهم . فقد كان هذا النوع من الحكم خارجياً . ثم شاع المبدأ القائل « بان الحكومات تستمد قوتها من موافقة المحكومين . » وعلى اساس هذا المبدأ اصبح الحكم اقرب لان يكون داخلياً من اذى قبل . وسيصبح الحكم داخلياً فى الحقيقة على قدر مايؤدى كل قانون الى الظروف الضرورية للحيـاة الموافقة ، بشرط ان يراه المحكومون بهذه العين وان يوافقوا على تنفيذه . ولو نظرنا الى مجموع ماجرى فى السنين العديدة الاخيرة

بهذا الخصوص لشاهدنا انتقالا محسوساً — فى نظرية الحكومات على الاقل — من اساس السلطة الخارجية البحتة الى اساس السلطة الداخلية . اذن فقد افلت السلطة الموضوعة فى هذا الميدان افولا جلياً .

وكذلك قل عن المسائل العقلية: فقد مضى الزمن الذى كانت فيه سلطة ارسطاطاليس عظيمة جداً وكانت عباراته الصريحة كافية لان تحل أى جدال يحصل بين الناس . لا يعنينا كثيراً ان كانت تلك سلطة ارسطاطاليس أو سلطة التقاليد فقد كانت سلطة خارجية على كل حال. ولذلك فبعد أن اخترع غاليلة (التلسكوب) المجهر من جديد ووجد البقع على وجه الشمس اضطرب بعض المحافظين اضطراباً شديداً . اذ الشمس جسم سماوى وعليه فهى روحية . ونسبة البقع الى جسم روحى هو شئ غير مستحسن ولا يرحب به فى تجديد بناء الافكار . ولذلك فقد رفض البعض النظر فى المجهر . ونظر البعض الاخر فرأوا البقع واذاعوا الخبر المزعج . وقد كتب أحد المحافظين الكبار فى هذه الظروف الى صديق له منزعج من هذه الفكرة يقول : « لا تضطرب . سكن روعك . فقد قرأت كتب ارسطاليس من أولها الى آخرها ثلاث مرات ولم أجده يشير الى بقع فوق الشمس فى أى مكان . وعليه فيمكنك أن تتأكد بأن لا شئ صحيح من هذا القبيل » . ان هذا التجاء صريح الى السلطة الخارجية. أما غاليلة فقد التجأ الى السلطة الداخلية الكامنة قائلا : « انظر وشاهد بنفسك . لا تصدق كلمتى بل شاهد بنفسك » ان الافكار الحديثة تبنى نفسها على السلطة الداخلية وهنا ايضاً نرى السلطة الموضوعة تزول حتى الفناء .

وفى ساحة الدينيات — بالرغم عن الانكارات الجدلية — نشاهد النزعة عينها. فقد مضى الزمن الذى كانت فيه السلطة الخارجية للكنيسة فوق كل شئ . وكان قرارها يعين اعتقاد المؤمنين . ثم جاء زمن قام فيه قسم مهم من الكنيسة على سلطة الكنيسة مستعيضاً عنها بسلطة الكتاب

المقدس . ولو لم يكن من مجال لتفسير الكتاب المقدس لقلنا ان هذه الحركة لم تعن الا الاستعاضة بسلطة خارجية عن سلطة خارجية أخرى . ولكن وجود التفسير سبب تقرباً الى السلطة الداخلية . ان ساباتيه Sabatier في كتابه الشهير « الاديان ذات السلطة Religiens authority يعدد ثلاثة انواع من السلطات الدينية. السلطتان المار ذكرهما مع سلطة ثالثة يدعوها « بسلطة الروح ». وانا نشاهد هذه السلطة بوضوح تام لدى الكثيرين ممن يتمسكون باخلاص ، على قدر معرفتهم واعتقادهم ، بسلطة الكتاب المقدس. فان الكتاب المقدس عند هؤلاء، نظرياً ، هو كلمة الله وعلى القارىء المؤمن أن يسلم بكل ما جاء فيه على السواء. ولكن ما أكثر الذين يفضلون بعض قطع الكتاب المقدس على القطع الاخرى ، العهد الجديد على العهد القديم ، وبعض المزامير على بعضها؟ فهم يقرأون ويتمعنون بصورة خاصة في « موعظة الجبل » وبعض فصول انجيل يوحنا وما أشبهها من القطع الاخرى . وهم يفضلون تعليق الاهمية الكبرى على الكلمات التي تناسب ميولهم وحاجياتهم الخاصة دون أن يسألوا أنفسهم ، بصورة خاصة ، عما هم فاعلوه ، ولذلك فهم في حياتهم الدينية الشخصية يطبقون السلطة الداخلية وهذه السلطة دعاها ساباتيه « بسلطة الروح ». ليست من غايات هذا الكتاب أن يدخل في جدل في هذا الموقف . ولكنا نستطيع في هذا الموقف أن نشير الى أن الكثيرين يتخذون في المسائل الدينية السلطة الداخلية وحدها سلطة لهم . وان التقدم الديني التاريخي عند هؤلاء قد انتقل بالتتابع من السلطة الخارجية البحتة، سلطة الكنيسة، الى مزيج من السلطة الخارجية والداخلية ، سلطة تفسير الكتاب المقدس تفسيراً خصوصياً ، الى موقف قبلوا فيه السلطة الداخلية وحدها بكل صراحة وذلك باعتبار كل ما يسد حاجيات النفس المتدينة جزءاً من الديانة الصحيحة . ولو نظرنا الى التطورات التي

حدثت فى الالف سنة الاخيرة لشاهدنا هنا ايضاً انتقالا من السلطة الموضوعة الى أساس، من السلطه الداخلية.

ربما كان أهم حادث فى نظرنا يدل على الانتقال من السلطة الموضوعة الى السلطة الطبيعية ما جرى على مشهدمنا فى العشر سنين الاخيرة. نشير بذلك الى الاخلاقيات. فقد يصدق - حسب ما يظهر - على معظم الوالدين فى هذة البلاد انهم كانوا الى هذه الاونة الحاضرة يبنون تعليم ابنائهم ما هو خير وما هو شر على أساس السلطة الخارجية. فقد يقولون ان هذا الشيء غير جائز لان الكتاب المقدس يقول ذلك، او لان الكنيسة تعلم كذا. أو يقولون كما هو دارج «لم يعمل ذلك أحد من قبل». وليف ما عبرنا عن الحالة فان تعليم الخير والشر كان خاضعاً بكل صراحة لسلطة الكتاب أو الكنيسة أو العادة. هكذا كان يعلم الاباء وهكذا كان يقبل الابناء. ان الابناء لم يكونوا مطيعين لما فيه الخير ومتجنبين ما فيه الشر دائماً ولكنهم اذا ما خالفوا السلطة فانهم يعترفون عندما يدانون بانهم كانوا مخطئين فى عملهم. وان المعيار قد كان مقبولا وان لم يعبأوا به.

ولكن الاحوال قد تبدلت. فالافكار العتيقة قد خسرت شيئاً من مكانتها وان احاديث الشبان وسلوكهم يسيران فى سبل كانت مسدودة من قبل. والمهم فى ذلك انهم صاروا يسألون «لماذا» المبررة للسلوك. فقد سمعنا بنتاً تقول لبنات اخر من فرقتها — وكانت بنتاً عليها سيماء الحشمة: «طيب انا ذاهبة. فان كان أخى يمكنه ان يذهب الى محلات كهذه فلا ارى سبباً يمنعنى عنها. انا ذاهبة ايضاً». ان ام هذه البنت حينما كانت صغيرة كانت تكتفى فتمتنع عن الذهاب اذا قيل لها: «ان البنات الطيبات لا يذهبن الى محلات كهذه. هن لا يذهبن فحسب». يظهر ان هذه البنت ايضاً سمعت الخطاب نفسه من امها ولكنها اعارته اذناً صماء. الايام قد تبدلت. الحق فى الانتخاب، والشعر المجموم، والفساطين القصيرة كل هذه علامات

حرية جديدة ، حرية تسأل « لماذا ؟ » وتتطلب جواباً لكى تقتنع .

ما الذى جاء بهذا التبدل ؟ ان الجواب الانى معقد فيما يخص البنات والسيدات : فقد تدخل فيه عوامل مترابطة كتهذيب النساء ، وحركة الانتخابات النسوية ، والبيلجة العلمية Scientific Biology ، والرياضة البدنية ، والمعسكرات الصيفية ، والصور المتحركة ، والروايات الحديثة ، والتحليل النفسى ، والحرب ، ، والسيكارة ، واضمحلال الحياة العائلية ، واشتغال النساء بالاعمال الكسبية ، واتساع الدمقراطية ، واضمحلال السلطة الدينية . . لا شك فى أن بعض هذه العوامل أو كلها تدخل فى تكوين هذا التبدل . ووراء كل هذه العوامل الوضع العقلى الجديد الذى بحثنا فيه تواً . فقد اصبحت النزعة الاساسية القديمة نزعة قبول السلطة الخارجية هدفاً للاعتراض . ان تبدل الاوضاع الذى جاء طوراً عن طريق النشوء والارتقاء وطوراً عن طريق الانتقاد النزيه شىء واقع لا جدال فيه . وقلما تسمع من طبقة المتعلمين صوتاً يخرج للدفاع عن تلك السلطة القديمة ، وأقل من ذلك صوت يسمع من رجال الدين المثقفين . ان لفحص الافكار مهمتين تسيران فى طريقين : الواحدة القضاء على السلطة الخارجية القديمة للكتاب المقدس ، والثانية نشر عادة السؤال « لماذا ؟ » . ليس من الضرورى أن نفرض بان جميع الناس شاعرون بأوضاعهم المتبدلة أو أن لهم دخلا محسوساً فى الامر : فان انتشار التبدل العام كاف فى حد ذاته : وشعور الوالدين نحو الحياة ونحو الديانة فى هذا الجيل يختلف عن شعور اسلافهم ، وان تأثير ذلك يتسرب الى الشبيبة اليوم .

ماذا ينتظر من كل ذلك ؟ الجواب الانى غير واضح . فلقد كانت للاخلاقيات المبنية على السلطة الوضعية بساطة لا نجدها على ما يظهر فى الاخلاقيات الفطرية . فقد كان من السهل تعليم الصغار ما هو فاسد مادامت التقاليد موحدة ، وان جهلوا الاسباب التى تدعم التقاليد . وعندما

أصبحت التقاليد تحت البحث والمناقشة وصرنا لا نستطيع أن نلتجىء اليها بعد ؛ أمسى من المحتم علينا أن نلتمس أســـاساً حقيقياً لاخلاقياتنا. ولكننا ههنا نتلعثم : نحن ابناء الجيل الماضى قد اعتدنا على أن نبنى السلوك على أساس التقاليد . ولذلك فانا نرتبك فى هـذا الموقف الجديد . من المضحك ان لم نقل من المؤسف أن نشاهد ابناءنا مطمئنين من أنفسهم ومن مستقبلهم أكثر جداً من اطمئنان والديهم بشأنهم . وقـد يظهر لنا أحياناً بأنا متفرجون على حركة أصبحت وراء نطاق حكمنا وضبطنا . لقد تـكلمت أم من ميل ابنائها وبناتها لجمع اشياء مبعثرة وتـكوين سيارة منها قائلة : « عندما يكومون كل ذلك بهذه الطريقة أحول رأسى عنهم ». وقد تـكلمت أم أخرى عن تسليات ولدها وهو طالب فى مدرسة ثانوية : ان مايقصه على ولدى يقشعر منه بدني ويقف له شعرى ولـكنى لا اظهر له ذلك خشية أن تزول ثقته بي . ربما كان جميع الوالدين يشعرون بهذا الضعف تجاه ابنائهم ، وربما كان الوالدون يشعرون بذلك فى كل زمان. ولـكن أليس لهم من شىء يفعلونه أو يقولونه فى هذا الموقف ؟

لو اعترفنا بمجرى الحديث الذى سردناه الى حـد الان لظهر لنا بأن ما نلاقيه ليس عبارة عن فقدان الثقة الناشىء عن الـكبر فى السن — كما كان شائعاً فى كل زمان — فحسب، بل هناك عامل آخر . والظاهر ان هناك اعتراضاً على اساس الاخلاقيات المبنية على السلطة الخارجية لم يكن موجوداً عند الشبان من قبل . فمهمتنا اذن ، على ما يظهر ، هى مساعدة الشبان على الانتقال من السلطة الخارجية الى السلطة الداخلية . والبحث فى هذه المهمة سنؤجله الى مكان آخر . والخطر بالطبع هو فى الانتقال من السلطة الخارجية، قبل وضع أساس للسلطة الداخلية. والخطر، بعبارة أوضح، هو فى بقاء الشبان مدة طويلة بدون سلطة ، قبل ان تتمكن منهم السلطة الداخلية؛ وبذلك ، تحدث فترة تسود فيها الفوضى الاخلاقية .

ومن وجهة ان هذه الفوضى كانت منتظرة وهى نتيجة طبيعية لترك اساس ،واستبداله بأساس آخر احسن منه ؛ وان كان الاساس الاول غير واف بالمقصود . ولكن الموقف لا يستدعى اليأس قطعياً . وفى الحقيقة هناك بعض الامارات الدالة على ان العجز الاكبر فى الوقت الحاضر قد ظهر فى الوالدين وليس فى الشباب. والشباب بالرغم من وقوعهم فى اشياء عديدة يؤسف على وجودهم فيها ،فان فيهم اشياء طيبة كثيرة .وليسوا قليلين هم الشبان الذين يفتكرون افتكاراً جدياً بخطورة الموقف المجابه ، افتكاراً لم يقم بمثله والديهم من قبل. فبزوال الحذر المشين، قد صار النشء يجابه الحقائق وجهاً لوجه . وفى الصراحة والاعلان العلنى ربح اكيد وشامل على ما يظهر . وهذا الربح هو من حيث الاساس ربح فى الامانة والصلاح . ان بعض المتخوفين يتكلمون كثيراً عن التراخى الاخلاقى المتزايد وعن جرائم الاحداث . ولكن المعطيات Data فى هذا الباب يعسر ان لم يستحل جمعها للقيام بمقارنة وافية . واذن يحق لنا لحد الان ان نبقى مشككين فى حقيقة التدنى الاخلاقى — المصرح به آنفاً — بين شبان الجيل الناهض . بل بالعكس ، كما اشرنا آنفاً ، فلو ألقينا نظرة واسعة لوجدنا ان الشباب اليوم هم سائرون على الدرب احسن من شباب الجيل الماضى . اذن فالسلطة الوضعية زائلة لا محالة ؛ ولو حصلنا على قيادة حازمة كافية ، لقلنا ان المستقبل يبشر باخلاق هى الطف مما يظن وأسمى .

تأصل « التبدل » وازدياد سرعته

ان الايام أخذت تتبدل أثناء الحرب العالمية وبعدها تبدلا سريعاً ، بحيث صار البعض يتحسرون على فترة لا تبدل فيها . أو على انخفاض سرعة التبدل على الاقل . كما لو أنهم يريدون أن يتنفسوا الصعداء . ماهو الرجاء من الهبوط فى سرعة التبدل ؟ هل ستقل سرعة هذا التغير اذا ما مرت على الحرب السنون وهل ستستقر الاحوال فتعود الى ما كانت

عليه ؟ من الصعب الاجابة بعبارة مختصرة على هذا السؤال: ولكننا نستطيع أن نجيب جواباً مفصلا ، اذا فتشنا عن العوامل الاساسية لهذا التبدل .

ما هى أسباب التبدل فى أساليب معيشتنا ؟ أما فى المائة سنة الاخيرة، فالسبب واضح على ما يظهر : وهو كثرة المخترعات العملية التى شاهدها العالم وتنوعها . ففى الصنف الثانى من هذه المدة اخترعت كل الوسائط الكهربائية الرئيسية — ماعدا التلغراف — فظهرت الى حيز الوجود ، واخترعت الماكنات ذات الاحتراق الداخلى ،فأمكن صنع السيارة والطيارة. وان عدد المخترعات الاخرى لكبير لا يسمح لنا بوضع قائمة فيها فى هذا المكان. ولاشك فى أن التاريخ لم يشهد شيئاً كهذا فى أى دور سابق فيه . فان للقرن السابق ثروة من الاختراعات تزيد على ثروة الف سنة سبقت . وقد سبق النصف الثاني من القرن الماضى فى هذا المضمار النصف الاول منه. ان سيل الاختراعات الدائم الجريان هو الذى يبدل أحوالنا المعاشية وبذلك تتبدل أطوار سلوكنا وانتهاجاتنا .

ما هو تشخيصنا للحالة اذن ؟ هل ستهبط سرعة التبدل ؟ أم هل ستزيد؟ للجواب على هذا السؤال يجب أن ننظر بعيداً الى السبب. ان كانت الاختراعات تسبب التبدل الاجتماعى، فما الذى يسبب الاختراعات ؟ والجواب على هذا واضح : فالاختراعات تأتى من مجموعة الافكار المجربة والمفحوصة . اذن فهل الاختراعات ستزيد أم ستنقص أم ستبقى على ماهى عليه الان ؟ لا يوجد الاجواب واحد على هذا السؤال : ما دام التمدن ثابتاً مستقراً، وما دام الناس مولعين بالافكار المجربة المفحوصة ، فالافكار ستزيد . وان مجموعة الافكار المجربة والمفحوصة الدائمة النمو كلما تحسن فحصها زادت الاكتشافات فى عالم العلم .وان هذا الازدياد سيبقى مطرداً بنسبة هندسية . وان الازدياد فى مجموعة الافكار المعول عليها يعنى الازدياد

فى عدد المخترعات . والازدياد فى عدد المخترعات يعنى الازدياد فى التبدل الاجتماعى . اذن فما دام التبدل ثابتاً ـ وما لم يتحول الولع فى الافكار المفحوصة ـ فالتبدل الاجتماعى سيزداد يوماً فيوماً . اذن فالمناظرة كاملة على مايظهر .

فلسفة التبدل

ان مجرد سير التبدل الاجتماعى بهذه السرعة المدهشة هو تبدل خطير فى الادوار التاريخية . ان سرعة التبدل الى هذه الايام كانت ضئيلة بدرجة لم تتأثر منها الفلسفة والاخلاقيات الا قليلا ان لم تجهل تأثيرها ولكن الزمن الان قد مضى — على مايظهر — والتبدل اصبح واضحاً جداً وشاملا كل شئ . واحداثنا يجابهون ولا شك مستقبلا مجهولا . ولا نجرأ اليوم على الادعاء بأن الحلول القديمة لمشاكل الحياة ستغنيهم ؛ بل يظهر اننا فى حاجة الى فلسفة لا تكتفى بالاعتراف بالتبدل كحقيقة ايجابية فحسب، بل تتضمن التبدل كعنصر أساسى منها .

ان مسألة التبدل الفلسفية قد ثارت منذ عهد اليونانيين . فان هراقليطس قد اعترف بها وأحلها المحل اللازم من فلسفته ، وان كان التيار فى تلك الايام سائراً فى مجرى آخر . فقد كانت البراهين المختلفة تقدم على عدم امكان أية حركة . ولذا كان افلاطون — على مايظهر — يفضل نكران التبدل بتاتاً ؛ فقد كان ينفيه للحقيقة نفياً تاماً . أما ارسطاليس فقد كان اكثر تعقلا فى الحقائق ولذلك فقد ارتأى ضرورة الاعتراف بالتبدل اعترافاً محدوداً . وقد جاء حله للمسألة عن طريق علم الحياة . فالتبدل عنده عبارة عن نمو نحو هدف معين من قبل . فثمرة البلوطة مثلا تنمو الى أن تصبح شجرة نامية . وبهذه الطريقة استطاع ارسطاطاليس أن يوفق بين التبدل واللاتبدل . ثمرة البلوطة نفسها هى شجرة بلوط كامنة . والشجرة الكبيرة هى شجرة واقعية . فالتبدل اذن عبارة عن عملية بها تصبح الاشياء الكامنة

واقعية . أمانوع البلوط فسيبقى على ماهو عليه مهما تعاقبت ثمرة البلوط وشجرته . . . التبدل بهذه الصورة منتظم ومناسب و محدود

نحن لانتعجب من ولع افلاطون الشديد فى تأسيس هيئة اجتماعية تبقى ثابتة ،لا يطرأ عليها شئ من التبدل مادامت أوضاعه نحو التبدل كما رأينا . فلاجل هذه الغاية أراد افلاطون أن ينفى التبدل عن جمهوريته . حتى انشودات الاطفال يجب ألا تتبدل فى نظره، خشية أنهم سيعتقدون بان التبدل شئ مسموح به.فاذاما كبروا سيتصدون الى تبديل القانون الاساسى. كما أننا لانستغرب اذا ما اعتقد ارسطاطاليس مثل أفلاطون بتأسيس حكومة اقطاعية، ولاجل أن تبقى هذه الحكومة عائشة، ينبغى ألا يصيبها شئ من التبدل الا ضمن حدود محدودة . كل من شاء أن يثبت بعض القيم المختارة وراء امكان التبدل — سواء كانت هذه القيم سلالة ملكية اوعقيدة ، حكومة كهنوتية أو نظاماً اقطاعيا — يظهر دائما ميلا لفلسفة شبيهة بفلسفة ارسطاطاليس وافلاطون: فلسفة أقل مافيها انها تجددعوامل التبدل ضمن حدود ضيقة جدا . اذن فلا نستغرب ايضا اذا ماوجدنا القرون الوسطى — بما فيها من نظام اقطاعى وكنيسة ذات سلطة تستدعى تقويمها والدفاع عنها — تختار فلسفة ارسطاطاليس كفلسفة رسمية لها .

لقددخلت الفلسفة الارسطاطالية بفضل الطريقة المدرسية فى سداة الفكرة الغربية ولحمتها . فمن ارسطاطاليس نستمد كل التعابير التى نعبر بها عن افكارنا الدقيقة ،وكل هذه التعابير تقريبا تؤدى بنا — باسلوب حاذق فى النلقين — الى فرضيات ارسطاطاليس الاساسية .وان عدم انتباهنا الى تأثير هذه التعابير يجعل مقاومتها أصعب وأصعب .فى ظروف كهذه ألقى داروين كتابه اصل الانواع .وان الضجة التى قامت ضده(*) ككتاب مخالف

(*)— راجع مثلا كتاب تأثير دارون على الفلسفة . تأليف الاستاذ جون ديوى ghon Dewy: the Influence of Darwin

لبعض النصوص اللاهوتية هي في الحقيقة صدى صوت تطاحن الفلسفات. فقد كان ارسطاطاليس يعتقد بان الانواع ثابتة ، لا تقبل الطفرة ، « روحية » في طبيعتها . وكانت هذه الفكرة متأصلة في جوهر فلسفته . وان عبارة « أصل الانواع » وحدها هي هجمة موجهة ضد فلسفته . فان مفهومة التبدل التي جاء بها دارون هي مفهومة تهد كل الحدود المقبولة التي حاول ارسطاطاليس ان يحدد التبدل بها . ان كانت قد جاءت انواع جديدة الى الوجود فيما مضى ، فماذا في المستقبل ؟ لا نقول ماذا سيحدث . وعبارة بمس الهائلة هي ان قد كشف الغطاء عن الكون . اذن فالمستقبل ترك للتغير ولن يصدق ولا شك اي نص سابق على اية ناحية من النواحي . وكل الحقائق القديمة اصبحت عرضة للانتقاد .

ليس ضرورياً أن نفرض بان دارون أو خصومه رأوا كل هذه المضامين ، ولكن هذه المضامين كلها كانت موجودة ومستعدة لان تظهر . ويظهر ان الناس يحسون بما لا يرونه بوضوح احياناً . ومن المؤكد بأن كل من يجد نفسه مضطراً للدفاع عن تعبير ثابت لابد له بحكم الدفاع عن النفس من أن يهاجم مبدأ التبدل الذي تتضمنه نظرية دارون . فان التبدل الدارويني يهز أصول كل المصالح الثابتة الراسخة مهما كان نوعها . ولا تهمنا ههنا هذه المباحث النظرية البحتة ، فان بعض المشاكل الراهنة تكفي لاشغالنا الان . اذا كانت الاشياء سائرة نحو التبدل السريع بسرعة متزايدة ، فتجابهنا تواً مشكلتان هامتان : الاولى ، هل في امكان التمدن أن يبقى ثابتاً في وسط هذا التبدل المتزايد ؟ والثانية ، كيف سنجهز احداثنا لمجابهة مستقبل غير مستقر ولا معين ؟ أما المسألة التربيوية فنرجؤها الان ، فانها ستشغل معظم مابقي من الكتاب ؛ والمسألة الاخرى هي مسألة الاستقرار الاجتماعي وهي التي تستدعي انتباهنا الان .

هل يمكن أن يدوم الاستقرار الاجتماعي في وسط هذا التبدل

المتزايد ؟ . اذا كانت سرعة التبدل تزداد بدون حد ، ألا يأتي بالاخرة يوم يصل التبدل الى سرعة لا تحتمل ، فتتفكك عرى الهيئة الاجتماعيه وتنحل ؟ ربما كان ذلك . ولكن فلنعد أيضاً من مسألة نظرية بعيدة الى مسألة اخرى راهنة هامة ربما كان الخوض فيها أطوع من الاولى .

بفضل كتاب مختلفين(*) صرنا نألف مفهومة التأخر الاجتماعى. فالتقدم قلما يكون مطرداً و يأتي الشد من النقاط الغير المستوية التى تبقى متأخرة. وربما كان أفضل مثال لنا على ذلك هو ادخال أساليب الحياة الجديدة بفضل المخترعات الميكانيكية الحديثة، بينما أساليب سلوكنا ونظراتنا الى المسائل الاجتماعية الاخلاقية المنظمة للحياة لا تزال متأخرة . ففى اميركا مثلا قد بدلت الحركة الصناعية الحياة كثيراً ،ومع ذلك فالنظرات الشرعية — والاخلاقية لا تزال تشبه كثيراً تلك التى سادت ايام كانت الحياة زراعية ريفية . فان كانت المخترعات الميكانيكية لاتزال تزداد، لابد من أن تسير نظرتنا الى الاخلاقيات معهذا التبدل جنباً الى جنب. والا فسيصيب الهيئة الاجتماعية ضرراً كبيراً . وكم من مفكر رزين يحكم باننا نتضرر اليوم من الشئ نفسه. اذ يظهر بان نظراتنا ومستمسكاتنا الاخلاقية لاتساوى لا تلائم بالفعل المواقف الجديدة التى ظهرت اليوم . فلا نتمكن مثلا أن نجد حلا لمسألة العمل والراسمال على مايظهر .فليس لدينا ماكنة اجتماعية وافية تراعى الحق والعدل فى حل الخلافات الصناعية . وليس بالنادر التجاء أحد الطرفين الى القوة والضغط لاجبار الطرف الاخر على الرضوخ الى رغائبه . هذا هو قانون الغابات وهو بالفعل حرب هادئة حتى انها تقيد بالهدو بكل صعوبة .وذلك بنفوذ اصحاب السلطة الشرعية للاراضى .وكذلك قل عن الاحوال السياسية. فلسنا سعداء سواء صوبنا سهام اللوم الى

(*) — راجع مثلا كتاب التبدل الاجتماعى تأليف و. ف. اوكبرن ص ٢٢٠ W. F. Ogburn's Social Change B. P. 220 ff

المنخبين أو السياسيين أو رجال الحكومة او القانون الاساسى فالنتيجة واحدة. اى انما كنتنا السياسية بماهى عليه اليوم لاتفى بماعليها من الواجبات كما ان ما كنتنا الشرعية لا تسد ما عليها من المطاليب. ان أحسن الخبراء فى هذا الباب يقولون بأننا فى هـذه البلاد نحاول تسيير أمة صناعية فى القرن العشرين بآلة شرعية دبرت لبلاد زراعية ريفية فى القرن الثامن عشر.

ان هذه الشواهد للتأخر الاجتماعى هى شواهد قليلة مختارة من كثيرة غيرها وهى توضح لنا التشديد الموجه الى الحياة الاجتماعيـة من جراء السرعة المتزايدة فى التبدل الناجم عن التقدم المادى. وفى كل هذه نشاهد فشل العقليات والاخلاقيات فى مكافحة المسائل الجديدة التى تظهر كل يوم مكافحة تفى بالمقصود. وسيتفاقم أمر هـذه الاحوال الخطيرة مالم نتداركه بتحريك ثقافتنا العقلية والاخلاقية بحيث تسير مع التقدم المادى جنباً الى جنب.

ما العمل؟ ان تشبيهاً من خارج الموضوع قـد يساعدنا على ادراك طريقة لمعالجة الموضوع. فالمصرع وهو يدور لا يقف منتصباً فحسب بل يقاوم كل الجهود التى تحاول دفعه وقلبه، وعندما تقف حركته يسقط. فالحركة نفسها فى المصرع هى الاستقرار: وفى الدراجة نجد تشبيهاً أوضح من هذا لحل موقفنا: لاجل أن تبقى الدراجة منتصبة فى السير يجب أن نحركها الى الامام والا سقطت. ألا يمكن أن نجد «موازنة متحركة» لاعمالنا الاجتماعية شبيهة بموازنة الدراجة؟ ولو تركنا التشبيه جانباً فانا نستطيع ان نميز ثلاثة ادوار للتبدل فى موقفنا الاجتماعى الحاضر. الاول التبدل الذى يؤثر فى غاياتنا المادية كتحسين وسائط التنوير والنقل والتخلص من الاقذار. وهى بدورها تأتينا بالدور الثاني بتلك التغيرات الناتجة عن المدن الحديثة والاهلة بالسكان الذين يعيشون فى بيوت ذات أقسـام

مستقلة عن بعضها فى أحوال تؤدى بطريقة من الطرق الى استياء حالة الحياة العائلية . والتبدل الثالث الذى لم يطرأ علينا بعد هو تعديل الحياة العائلية بالنظر لهذه الاحوال الجديدة التى تحيط بنا .

لو لاحظنا هذه الادوار الثلاثة للتبدل لوجدنا أن اكثر الناس فى هذه البلاد لا يحبذون تأخير الدورين الاول والثاني من التبدل بل يستنكرون ذلك . فقد قبلت الاختراعات — على وجه العموم — بل وشجعت ايضا . ومع ذلك فهناك من يحاول مقاومتها ، ولكن تأثير هؤلاء محدود جداً والموت فى الغالب عاقبة جهودهم فى المقاومة . ولئن قبل الناس الدورين الاول والثاني من التبدل فانهم لا يقبلون الدور الثالث فمتى ذكرت لهم ضرورة تبديل النظرة الاخلاقية الاجتماعية السائدة التى لم تعد تصلح لشيء فانك تلاقى أشد المقاومة . وان قوة استمرار لا معنى لها — على مايظهر — تؤثر فى هذا الموقف كما لو كانت مقاومة تعمدية . ومن المظاهر المؤسفة أن الوجدان يوحد نفسه مع نظرة المتأخرة بكل سهولة . فان رجالا من ذوى النوايا الطيبة يصرفون قوى أخلاقية كبيرة فى طرق تزيد فى التأخير . فان كان ثمة مايدعى بالتوازن الاجتماعى المتحرك ، او الاستقرار الاجتماعى الحراكى ، فيجب ان يطبق فى هذا الموقف وهذا يشتمل على الميل والقابلية لحفظ النظرة الاجتماعية الاخلاقية موازية فى سيرها وتقدمها لكل التبدلات الاجتماعية الاخرى . اذن فواجب الاساليب التربيوية الناجعة هو المساعدة فى ايجاد وحفظ موازنة حراكية كهذه والمساعدة فى تنشئة النظرة الاخلاقية اللازمة لهذه الاحوال .

الخلاصة والنتيجة

يظهر اننا نستنتج مما مضى ان العامل الاساسى الذى يكون العالم الجديد ويفسره ويمنحه صفاته المميزة له هو وجود الافكار المجربة والمفحوصة وتطبيقها على شؤون الانسان . وان هذه لا تكتفى بتبديل طرق معيشتنا فحسب

بل ربما تبدل بدرجة أكثر أوضاعنا العقلية ايضا . فنحن نفكر ونشعر ونعمل بطرق تختلف عن ذى قبل: ذلك لان الظروف التى تحيط بالحياة تختلف عن ذى قبل . وليس هذا كل شيء . فان مجموعة الافكار المجربة والمفحوصة تنمو وتؤملنا بالنمو المطرد بسرعة متزايدة بنسبة هندسية. اذا صح هذا وادعم بالحجج القوية اذن فالتبدل الذى شاهدناه لحد الان هو ضئيل جداً بالنسبة لما سنلاقيه فى المستقبل . ان حقيقة هذا التبدل الدائم السريع والمتزايد فى سرعته على الدوام ، تأتي للعالم بمشكلة جديدة صعبة للغاية. فان التقدم المادى للحضارة مهدد نا بسبقه مقدرتنا الاخلاقية والاجتماعية على مكافحة المشاكل الجديدة التى أدخلها هـذا التقدم المادى . وها قد نتجت من جراء ذلك احدى النتائج الهامة : فان ناشئتنا لم تعد تقبل الاخلاقيات المبنية على السلطة الخارجية . اذن فعلينا أن ننشيء وجهة نظر جديدة ، تحسب حساباً وافياً لحقيقة التبدل الدائم الازدياد . وأن ندبر اسلوباً موازياً لها : والا فالحضارة نفسها مهددة على مايظهر .

٢

مطاليب الحضارة المتبدلة من التربية

موقف جديد

ان حضارتنا المتبدلة تطلب علانية من التربية اليوم مطاليب جديدة بعيدة المدى. لقد مرت علينا بعض هـــذه المطاليب فى الفصل الماضى، ولكن بصورة اجمالية عامة لا تفصيلية. وقبل ان نستنتج بصورة وافية نوع التربية اللازمة، يلزمنا ان ندرس بتدقيق اكثر المطاليب التى تتطلبها طبيعة حضارتنا المتبدلة! ولابد من ذكر كلمة تحذير الى اننا نستدعى الانتباه فى هذا الفصل الى المطاليب الجديدة الناتجة عن حقيقة التبدل الجديد وحالته! فقد توجد مطاليب قديمة عدة على التربية، تبقى دون ان تتغير تغيراً جوهرياً! فاذا اغفلنا ذكر هذه، فلا يعنى ذلك اننا لم نعبأ بها!

مدارسنا وكيف جاءت الى الوجود

لقد كانت التربية موجودة من عهد اقدم انسان. وكانت مهمتها الاصلية نقل وتسليم اساليب السلوك والانتهاج من الراشدين الى الاحداث. وقد نفرض ان قد مضى عهد لم يكن فيه اى شكل من اشكال المدارس فى عالم الوجود حين كان الاطفال يتعلمون بالتقليد والاشتراك فى العمل تلك الاساليب التى بها يقومون باشغالهم فى الحياة! فقد كان واجب البنت ان تساعد امها وكانت بذلك تتعلم كيفية المساعدة! بهذه الطريقة العرضية دامت المعلومات والمهارة البيتية. وكان الاطفال يلاحظون الرجال والاولاد الذين هم اكبر منهم سناً فيتعلمون كيف يصطادون صـــيداً برياً او مائياً او كيف يحاربون الى غير ذلك! وكان الاحداث يشاهدون الاحتفالات القبائلية فيعيشون فيها. وقد جاء زمن صاروا يحتفلون

بالتكريس الى الاحتفالات وبذلك وجد أصل المدرسة وكانت مهمتها الفعلية ادخال الاحداث فى بعض اقسام احتفالات القبيلة وفى الاوضاع التى كانت تلازم تلك الاحتفالات . وانتقلت الاساطير فى الغالب بهذه الطريقة . ان هذه المدرسة ، اذا دعوناها بهذا الاسم ، تتضمن ايصال الراشدين الى الاحداث بعض الاقسام المختارة من ثقافة القبيلة .

وهكذا فاننا نشاهد انقساماً فى التربية من بداية وجود المدرسة : فالقسم الواحد منها يمكن ان يترك للبيت وللجهود غير المنظمة ، بينما القسم الاخر يتطلب عناية خاصة مع زمان ومكان معينين . والقسم الاقدم لا يزال حتى هذه الايام يتضمن ما كان يتضمنه دائماً من اللغة اليومية والواجبات البيتية ووسائط تحصيل المعاش والاخلاق والاوضاع الاجتماعية والعادات التى يتعلمها الفرد بالمعيشة المجردة مع الجماعة . ان هذه التربية لم تكن قريبة من الحياة فحسب بل هى جزء اساسى منها . فاذا تبدلت طرق انتهاج الجماعة لسبب من الاسباب ، فهذا القسم من التربية يلبى هذا التبدل دفعة واحدة : اذ ان اسلوبها هو اسلوب الحياة بعينه . اما القسم الاخر من التربية ، ـ القسم المقرر والمؤسس ـ ، فقد كان من البداية اكثر جمودا . ولكونه مؤسسة مقصودة فقد تمركزت بنفسها . ولذلك فتبقى محتويات المنهج عائشة من أجل ذاتها حتى بعد زوال المهمة الاصلية التى استدعت وجودها . خذ مثلا على ذلك ان القبيلة الهندية الاميركية لا زالت تغنى ترنيمة فى احتفالاتها لم تعد تفهم مدلولات الفاظها بعد ، ذلك لان القبيلة تركت بضغط الظروف لغتها القديمة واتخذت لغة جديدة . وان الترنيمة وان كانت لا يزال تقوم بمهمة الاحتفالات الا ان قيامها بهذه المهمة اصبح اصطلاحياً بحتاً . ومع ان هذا المثال هو فى منتهى الشدة فان نزعة شبيهة به تكررت فى تاريخ المناهج المدرسية .

ان فصل التربية المدرسية واساليبها عن الحياة المباشرة أدى بكل

سهولة الى تقرير المدرسة بما فى هذا الاصطلاح من معنى ردىء . وان هذه النزعة وجدت فى شعبتى المنهج المدرسى الاصلى اعنى الاحتفالات الدينية والاساطير القبائلية. وحينما اخترعت الكتابة امكن تدوين الاساطير القبائلية . وقد أدت هذه — أضف اليها نمو الافكار — الى مجموعة نامية من المواد الادبية . ويجب أن ينمو عمل المدارس بذلك ،فلا تعود تكتفى بتعليم القراءة والكتابة فحسب ، بل تضم الى ذلك تسليم الثقافة الادبية المتجمعة الى النشء الجديد . وعليه عندما نشأت فى المنهج محتويات ملائمة للتعليم الجديد وتعود على استعمالها المعلمون فى الاجيال المتعاقبة أصبح التبلور حقيقة واقعة .فقدصار التبديل صعباً . وليس هذا كل شىء. بل ان المنهج المتسع صار يتطلب تفرغاً كافياً له وبذلك أصبح مناله صعباً الا على القليلين بينما الكثيرون لاينالون الا اليسير — اذا نالوا شيئاً — عدا تربية البيت والحياة الاجتماعية .

وبذلك سارت القيادة والذهاب الى المدرسة جنباً الى جنب؛ وطالما ظهرت نزعة التأكيد للظواهر الخارجية لهذه التربية المنحصرة بالقلائل بحيث صارت تسم القادة وتطبع المنقادين . والغاية الاصلية الاخرى للمدارس غاية تشريب الاحداث بالثقافة الاخلاقية الاجتماعية (الدينية — السياسية) للجماعة هى عرضة للتقرير والتثبيت ايضاً . وكما أشرنا سابقاً ان محافظة اى جماعة تظهر فى هذه النقطة بأجلى مظاهرها . فان المتمسكين بآراء القوم المقررة يجدون دوماً فى المدارس واسطة رئيسية لدوام آرائهم واستمرارها ولا شك فى انها واسطة قوية اذا ما وجهت

ان « المدارس العمومية » البريطانية بما فيها من « حديث المدارس العمومية » المميز لطلابها وغيره من الظواهر الخارجية تعطى فى الغالب كمثل لهذه النزعة . ولكننا عميان اذا لم نشاهد فى بلادنا و بالقرب منا نماذج اخرى للشىء نفسه .

الى هذه الغاية . اذن فقد التقت خطوط نزعات ثلاث لجعل المدرسة « محافظة » واصطلاحية : الاول قوة استمرار المؤسسة نفسها ، النزعة الطبيعية للتوليد الداخلي الموجودة في كل مكان : ثانياً تأثير ظواهر التعلم الخارجية التي — بتأكيد الظواهر — تربط نفسها بسهولة بكل ماهو مادة مصطلحة فقط : وثالثاً امكان استعمال المدرسة لتثبيت الاراء والاوضاع المرغوب فيها، الامكان الذي نجح « المحافظون » بصورة عامة في تملكه بالشفعة . ولا حاجة لان نبين بان هذه النزعات الثلاث تقوى و تدعم الواحدة الاخرى بالاشتراك . فكانت المدارس الى أيامنا هذه سداً يحول دون التبدل الاجتماعي فضلا عن كونها هي لا تتبدل .

قد نكون مضلين وغير محقين اذا تركنا في ذهن القارئ انطباعاً بان مدارس العالم أبدت الى الايام الاخيرة مقاومة غير منقطعة للتبدل . فقد شاهد القرن الماضي تكييفات عديدة ،وعلى العموم مرونة متزايدة في التفكير في مسألة التكييف . وان الاقتراحات التي سنقدمها في ما بعد كمنهاج هي في حد ذاتها مبنية على نزعات مرئية اكيدة . ولكن مهما كان ماعمل كثيراً فما بقي ليعمل هو اكبر بكثير . فحقيقة التبدل لم تقبل لحد الان الا بالتأفف والتذمر . فاذا قبلنا المناقشات التي سبقت في الفصل الماضي ،فلا يكفي تمشية المدارس والتبدلات الاجتماعية جنباً الى جنب فحسب ،بل يجب تجديدبناء نظريتنا التهذيبية من الاساس ، بحيث تتضمن كجزء اساسي منها الاعتراف بحقيقة التبدل السريع الدائم . وان هذا لم يقبل لحد الان بدرجة كافية كاساس لازم لادارة مدارسنا .

يجب تعويد اطفالنا على التفكير المستقل

من لوازم النظرة المتجددة هي ان نتنازل عما ندعيه حقاً صريحاً لنا ألا وهو تحديد تفكير اطفالنا . ربما كانت افيد طريقة ندرك بها التربية هي أن نعتبرها كاسلوب به نكتسب طرق انتهاجاتنا . ونستعمل كلمة

انتهاجات فى هذا المقام بالطبع بمعناها الاعم الاشمل بحيث تنطوى تحتها الاوضاع والمعتقدات أضف اليها طرق الانفعالات الخارجية.

كان الاطفال فى الاصل يكتسبون طرق انتهاج القبيلة بالضبط ،وكان واجب الراشدين المفروض ان يتأكدوا من أن الاحداث تعلموا ذلك بالدقة . وقد اتخذت التربية سواء كانت مقررة او غير مقررة الوجهة عينها حتى الايام الاخيرة . فقد كانت التربية اسلوباً يعين به أولوا الامر مايجب ان يفكر به و يعرف الجيل الناهض . ربما كان فى هذه اللحظة اكثر الاباء فى بلادنا لايفارقهم الشك فى ان من حقهم بل من واجبهم ان يعينوا مستقبل اطفالهم الفكرى والخلقى . وان الكثير من المناهج التى تدعى الوطنية تدعى بدون جدال بهذا الحق . ان هذا الافتراض يقابل الفلسفة الارسطاطالية السائدة الى الان ،والقائلة بان التبدل لايحدث فى الجوهريات و ان معرفة هذه الجوهريات بناءاً على هذه النظرية ميسورة للانسان . اذن فما يجب ان يتعلمه الابناء معلوم من قبل وهذه المعرفة هى فى حوزة الوالدين الان ، و ان شئت فقل فى حوزة مستشاريهم اللائقين . اذن فحق الوالدين، او من يقوم مقامهم من الراشدين فى تعيين مايجب أن يفكر فيه الاطفال يجب أن يعاد فيه النظر من حيث الاساس . فلا نستطيع فى هذا الموقف الجديد المتزايد التبدل على الدوام أن نتنبأ بما سيحتاج ابناؤنا أن يفكروا فيه؛ وبناء على فلسفة التبدل الجديد و اخلاقياتها لاحق للاباء ولا لاصحاب السلطة الان فى تقييد الابناء تقييداً كهذا. وواجبنا اذن هو تحضير الجيل القادم ليفكر بانه يستطيع أن يفكر، وأن يفكر لنفسه حتى لو أدى هذا التفكير الى رفض ما نفكر نحن فيه او اعادة النظر فى ذلك . فعلى اعتقاداتنا المختارة أن تجتاز هذا التحكيم الجديد ؛ فان كانت حرية بالبقاء فالاحتمال أنها ستجتاز الفحص، وان لم تجتز الفحص فالاحتمال انها يجب ألا تعيش فبمجرد ما نكشف الغطاء عن العالم اذن، يبطل مدعانا بلزوم ربط أطفالنا

بمعتقداتنا. يجب أن نحرر أطفالنا ليفتكروا لانفسهم، واما خلاف ذلك فلا يعنى سوى عدم قبولنا حقيقة جهلنا بالمستقبل، بل نكراننا فى الوقت نفسه الدمقراطية التى تتطلب كأساس لها «احترام الاخرين حتى اطفالنا».

التربية العتيقة لم تعد وافية بالغرض

يجدر بنا قبل ان نسير فى البحث عن المطاليب الجديدة ان نلخص الدعاوى المقامة على التربية الدارج استعمالها لحد الان. لقد صرحت التربية العتيقة بانها تعد الناشئة لحياة الرشد. وكان فشلها مضاعفاً، فهى لم تعد لحياة الرشد الحاضرة كما أنها أهملت المستقبل المجهول لحياة الرشد تماماً. فبدلا من أن تعد للحياة الحاضرة كما هى الان انها تعلم مواداً فات اوانها وأصبحت فى عداد التقليد فقط. وقد فعلت ذلك تارة لان نظريتها التهذيبية لم تقبل ان تتكيف بالنظر للمطاليب الجديدة، وطوراً لانها اتحدت مع مصالح اجتماعية أنانية فضلت مظاهر التعلم المصطلحة على الخدمة الاجتماعية الناجعة، وطوراً لان عناداً مشيناً فضل التمسك بالتأخر الاجتماعى — الاخلاقى عن المواقف الجديدة. فبدلا من أن تعد على قدر وسعها للانتقال الى المستقبل المجهول، فقد ادعت هذه التربية العتيقة، بالفعل، بان المستقبل سيكون كالحاضر. لما كان التقدم بطيئاً، صار كل جيل يجابه مواقف تشبه التى جابهها الاباء فى الجيل الماضى تقريباً. فقد كان يمكن الدفاع عن عدم التعديل التام بالنظر للمواقف غير المتبدلة ولو سطحياً على الاقل. أما وقد لاح فى الافق هذا التبدل الواسع فالتعديل بالنظر لحالة قرارية هو اضرار للناشئة لا مساعدة. فالاحرى بنا أن نلتمس تعديلا يلائم التبدل نفسه. والاستقرار المتحرك هو الذى يجب أن يهدينا فى كل مساعينا. اذن فالتربية تجابه اليوم معضلة قد تعد الى درجة ما جديدة فى العالم. وعليه يجب ان تضاف الى مجموعة المواد الدراسية المضبوطة التى تستحق أن تنتقل من جيل الى آخر بعض الطرق والاوضاع العامة على الاكثر والتى تؤهل

لمجابهة المواقف الجديدة ومكافحتها . ويجب ان تدار كل هذه ،على قدر مانستطيع أن نتبصر عن المستقبل ، بحيث تلائم مطاليب الموقف الجديد .

المطاليب التهذيبية للموقف الجديد

بعد أن حصلنا على فكرة عامة عن نقائص التربية العتيقة وتبصر فى التربية الجديدة وجب علينا قبل ملاحظة تفاصيل التربية الجديدة أن نسأل بدقة اكثر عن المطاليب الخاصة التى تنجم عن الموقف الجديد .

اولا ، هناك طلب بارز ينجم عن فشل التربية اللا رسمية فى القيام بمهمتها . فقد كانت التربية اللا رسمية ، المتأتية من المعيشة فى العائلة و فى المجتمع ، الى عهد الحركة الصناعية مزدهرة، تستدعى الدهشة فى أفاعيلها وتأثيرها عند جميع الامم و فى كل الازمان . ولكن بظهور الاحوال الصناعية الحديثة حدث تبدل عظيم نشاهده بكل جلاء فى بلادنا . الحكاية عتيقة ولكن لابد من اعادتها هنا : العائلة كعامل اقتصادى تطورت كثيراً، و بهذه النسبة قل تأثيرها التهذيبى. فالعائلة القديمة بما يضم اليها من طاحونة ودكان حدادة مجاور كانت تقوم بكل الافاعيل الصناعية تقريبا. ولكن هذه الافاعيل انتقلت الواحدة بعد الاخرى الى داخل المعمل ، وذلك فى المدن على الاقل ، ولذلك فالاطفال الذين أبواهم فى سعة من العيش قلما يتعرفون على الافاعيل الصناعية بواسطة والديهم . وأمر من ذلك انهم قلما يحصلون على تماس تعاونى معهم. فالوالد بما صرف كل نهاره فى الخارج فى شغل، والولد نفسه يقضى الشطر الاكبر من النهار فى المدرسة و بعد الظهر فى اللعب. و فى المساء أما الاشغال البيتية (التى قلما يستطيع الوالدون أن يساعدوا فيها) وأما الذهاب الى السينما أو ركوب السيارة يكمل حكاية الاختلاط اللا تعاوني . والموقف يصبح أردأ بالطبع اذا كانت الام ايضا تشتغل خارج بيتها . وأسوأ ما يكون ان البيت يصبح احيانا محلا يعود اليه أفراد غير متجانسين للنوم فقط . وأحسن ما يكون هو أفضل من

ذلك بكثير . ولكن فى كل الاحوال تقريبا ان البيت لم يعد ذلك المؤثر التهذيبى الذى كان يوماما عاملا فى تدخيل الطفل فى الفعالية الصناعية ، أو مانحا اياه التبصر فى الافاعيل اقتصادية والاجتماعية الاساسية أو بانيا فيه تلك الاوضاع الاخلاقية الاجتماعية التعاونية والعادات التى تنطوى عليها الحياة الاجتماعية .

وبصورة مختلفة نوعاً ماتحول التأثير التهذيبى الذى كان للمجتمع. فقد ازدادت من جهة المنبهات المهيجة عن ذى قبل ذلك مع تأثيرات تهذيبية مختلفة بعضها صالح وبعضها فاسد . ومن جهة اخرى نرى الافاعيل الاجتماعية الضرورية ـ صناعية كانت أو اقتصادية سياسية، أواخلاقية . . اجتماعية ـ هى اقل عرضة للانظار من السابق. ماعبارة « **الدخول ممنوع** » الا رمز لانغلاق الحياة الجديدة فى وجه استطلاع الاحداث . لاحظ صناعة الحليب، مثلا، وانظر كيف ان قسماً من الافعولة منفصل عن القسم الاخر بحيث أن الطفل فى المدينة قلما يرى الافعولة كاملة . فبينما تصبح الاشياء اكثر تعقداً نرى فى الوقت نفسه انها تنقسم الى اجزاء منفصلة عن بعضها قد تختفى بعضها عن البصر بحيث يصبح ادراك الشكل أمراً عسيراً. وبدون هذا الادراك يصبح الاشتراك فى العواطف والتفاهم المتبادل شيئان مستحيلان ؛ وكذلك تصبح النظرة الاجتماعية صعبة . وتصبح الانانية الافرادية سهلة للغاية .

ان تلاشى عوامل التربية اللارسمية يزيد فى واجب المدرسة من وجهتى الكمية والكيفية. فبخروج الاباء يوما فيوما عن دائرة حياة الطفل اليومية تلقى مسؤولية الحياة مع الطفل على عاتق المدرسة والعوامل المديرة الاخرى . التأكيد هنا يجب أن يوضع على « الحياة » . ان المدرسة العتيقة (فى هذه البلاد) كانت اضافية صراحة . فقد كانت الحياة تجرى فى محل آخر وكان عمل المدرسة اضافة بعض المهارات وبعض المعلومات فحسب . لا يتعلم الفرد

كيف يعيش أحسن الا فى الحياة ومن الحياة . ان مايخطئ فيسميه البعض « بالهوا والمودات » فى المدارس ماهى الا بداية جهود المدرسة ، وربما كانت لاتزال فى دور الخبط بعد ، لتزويد الطفل بعنصر الحياة الذى يحتاج اليه . ولايمكن بناء بعض العادات والاوضاع الاجتماعية والاخلاقية فى الطفل وتنشئه بعض الطرق الضرورية لمكافحة المشاكل والمشاريع الجديدة فيه مالم توضع المدارس على أساس الحياة الفعلية الراهنة . اذن فقد تبدلت كمية الدراسة وكيفيتها بانحلال البيت والمجتمع من الوجهة التهذيبية.

ان بحثنا فيما بعد عن المطاليب الجديدة من التربية قد يسهل لو اتبعنا بوجه التقريب رؤس اقلام الفصل الماضى الذى حاولنا فيه أن نجسم الموقف المجابه .

الحاجة الى تعليم العلم

ان تبلج الافكار المجربة والمفحوصة بهذه السعة فى الحياة الجديدة يحمل معه طلباً وامتياز فى الوقت نفسه. فاذا كان فى وسع العلم ان ينجز نتائج كهذه اذن فيجب علينا ، مؤكدا ، الا نتأخر فى استخدام القانون الجديد. ان الدعوة لتعليم العلم ليست حديثة. ولكننا يجب ان نتساءل بعد التفكير الرزين عن نجاحنا فى اجابة هذه الدعوة . فان الخرافات لا تزال منتشرة وليس فى وسع التربية ان تجهل درسا بسيطا وهو ان العلم يجب ان يجعل بناء الطابق الثالث عشر شيئا ميسورا لا تشاؤم فيه . ومن قال ان خرافة كهذه هى تسلية لا ضرار فيها ، فلينظر بعد الى قائمة حسابات ادويتنا المسجلة او لينظر الى جماعة « الفتاة ذات الفال » والدجالين (وليدرس حسابها لنفسه) . ثم افتكر فى ديتون وتنسى (من الولايات المتحدة) والعدد الكبير الذى فيها ممن لم يتعلموا فحص الافكار وتجربتها بانفسهم ولاهم يعترفون باسلوب الفحص كشئ يمكن التعويل عليه . كلا ، لم ننجح فى تعليم العلم بعد . يجب ان نعلى مقام الذين يرقون الفكر . يجب ان نتعلم كيف نطبق

الافكار المجربة والمفحوصة على العلوم الاجتماعية وعلى مؤسساتنا الحياتية فنحسنها و ربما كان فى الامكان ان نقيس بنجاح الى درجة ما فى ساحة العلوم الطبيعية. اضف الى ذلك ان الا كثرية الساحقة التى لن تزيد الى مجموعة الافكار يجب ان تتعلم ان ترى وتفهم وتتبع الى درجة ما الاساليب العلمية. واقل ما يقال انهم يجب ان يروا ويفهموا من الحقائق العلمية ما يكفيهم للاعتقاد بالعلم لا ان يستهزوا به كما يفعل البعض الان. يجب ان ننجح فى تعليم العلم.

الحاجة الى عقلية نقادة

ان كان نمو العلم يعنى، كما يظهر، نزعة ناحية لانتقاد المؤسسات المقبولة لحد الان و التساؤل عنها اذن فمن واجب التربية فورا ان تزود الاحداث بقابلية المحاكمة. والا فالتدمير يتفشى على حساب التعمير. الدعايات تنتشر اليوم اكثر من اى وقت سابق وهى، بفضل فحص اساليبها المولعة، ناجعة اكثر من ذى قبل. اذن فنحتاج مع هذه جنباً الى جنب الى عقلية نقادة وافية لمكافحتها. وان هذه الحاجة قدازدادت بازدياد المواصلات. وان عقلية الرعاع تحتاج الى قليل من المنبهات المادية للجماعة لتهيج. السنما والجرائد المصورة والراديو تقوم يوما فيوما مقام الاحتكاك المادى بين الافراد. من درس الحرب العظمى المؤسفة هى السهولة التى يمكن بها تهيج احساسات شعبنا بأياد خفية. فعلى الهيئة الاجتماعية ان تتعلم كيف تقاوم هذه المغريات الجديدة. فبدرجة وضعنا التمدن على اساس حرى وتأسيسنا استقرارا متحركا، بهذه الدرجة يجب ان يكون تفكيرنا جيدا صحيحا. التفكير الجيد نفسه يزودنا بالمرونة والموازنة معاً. نحن فى حاجة الى رحابة فكرية بها نرى ونسمع الا فتراحات الجديدة. ولكن الى جنب هذه نحن فى حاجة عقلية نقادة تزن وتحكم.

مما اننا نجابه انقلاب العالم انقلابا صناعيا متزايداً، فان فقد يظهر أن المطاليب

كثيرة لاول وهلة بحيث يجب الانتقاء منها لكى لانضل السبيل فى التعقدات، وتكفينا هنا ثلاثة مظاهر من مظاهر النزعة الصناعية — التخصص، التجمع، والوحدة.

مطالب التخصص من التربية

يعسر الجدال فى أن التخصص فى الصناعة يحمل بعض الاخطار. فكل عامل من العمال، عادة، يكرس نفسه لاخدود ضيق. ومن واجب التربية أن تنظر بان هذا العامل يعمل و يعيش فى هذا الضيق. فكلما قلت الحياة المسرة أو الافكار المسرة فى مهنة الفرد، كلما وجب تزويد ذلك فى المناحى الاخرى للحياة. فعلى المدرسة اذن أن تعمل على خطين يكافىء احدهما الاخر التخصص نفسه يجب أن يرى بسعته و بعلاقاته ويجب أن يرى ولع الفرد الخاص بحيث يصبح واسطة للنظر الى الحياة بجميع علاقاتها المتنوعة. و بحيث يربط كل جزء من الحياة بالجزء الاخر بحيث تشكل الاجزاء كلا مترابطا. ويجب أن تبنى فى الحياة ايضا اولاع اضافية اخرى عدا وجهة الاختصاص. فنوع واحد من الولع يكون حسب العادة مضيقا جداً. ثم أن بعض أنواع العمل يعسر أن يبقى مسرة دائمة اذن فعلينا أن نضاعف الاولاع اذا ما أردنا أن تكون الحياة مسرة من جميع وجوهها. ولكن هذا ليس كل شيء. فالاختصاص فى العمل يؤدى الى اختصاص الافراد فى الاحتكاك مع الجماعات. وسرعان ما يسبب هذا اهمالا أنانيا للمجموع. فجماعة تقاوم جماعة اخرى وصنف من الناس يقاوم صنفا آخر. فالارادة والبصر كلاهما يخسران الكل الاجتماعى. وما هذا سوى المظهر الاخلاقى الاجتماعى للترابط الذى سبق فأشرنا اليه. فعلينا بطريقة من الطرق، بالرغم من التخصص، أن نتجنب الانانية ونحصل على التعاون المتبادل. لا جدال بأن هذه مشاكل عسيرة دائمية ولكن خطورتها تزداد كلما نمت الحركة الصناعية. فسعة النظر، والشعور بارتباط عمل الفرد ببقية الافاعيل الاجتماعية،

والولع فى الكل الاجتماعى والتعاون معه ، والحصول على أولاع اضافية فى الحياة ، كل هذه مطاليب هامة يتطلبها الاختصاص المتزايد من الحياة وبالمقابلة من كل خطة موافقة تختطها التربية .

مطاليب التجمع من التربية

ان التجمع مواز للتخصص . وان التجمع ، كما قلنا ، يتزايد حتى يكاد يغمر كل شيء احياناً . ويمكن اتباع نوعين من الطلبات . اولا نحتاج الى اشخاص عظماء بحيث تكفى عظمتهم لتدبر اعمالا عظيمة وتديرها بنجاعة اقتصادية كما انها تكفى لتحسب حسابا وافيا للعوامل الانسانية التى تدخل فيها . كلاهما عملان شاقان ، ان الاخير وهو الاصعب هو أكثر ضرورة . فما لم يتعلم الانسان كيف يدير الاشغال بحيث يحسن خدمتها للحياة لم تبرهن المدنية على نجاعتها الضرورية بعد . فان مضاعفة الانتاج وحده لا يكفى حسب مايظهر . فالانسان يجب ان يعيش فى عمله حقيقة كما يعيش منه . وقد ثبت أخيراً بأن هندسة الانسان هى أهم انواع الهندسة . ذلك لاعداد القادة فما قولنا عن الكثيرين الذين هم منقادون ؟ فاذا وجب اهتمامنا عداد الاشخاص الذين هم سيديرون تجمعنا الدائم الازدياد فكم بالاحرى يجب أن نهتم باولئك الذين سيشكلون الهيئة العامة . فان هؤلاء فى خطر من أن تغمرهم العظمة المتزايدة عقلياً وأخلاقيا . فقد كان الناس فى الايام الماضية يواجهون فى عملهم اليومي مسؤوليات هامة فى الفكر والعمل . ان هذه قد قلت ولا تزال تقل كثيراً هذه الايام . وان الفرد يصبح ، يوما فيوما ، واحداً من كثيرين ومن كثيرين متزايدين . وهناك الخسارة الحقيقية . فالفرد بين كثيرين لا يحسب له حساب كما لو كان بين قلائل وان هذا يصدق على المدنية واعمالها كما انه يصدق على المعمل او الدائرة واعمالها . فلم تبق النتيجة عينها للفكر أو للتأثير . وان الكثيرين يستسلمون حتى يصبحوا كلا شيء تقريباً فى العقل والروح .

ليس من السهل أن نحكم كيف نجابه هذا الموقف ونتغلب عليه. وان الطلبات توجه الى جذور العيشة المرضية نفسها . وعلى المدرسة أن تساعد الناس بطريقة من الطرق ليثبتوا أنفسهم ويتغلبوا على التهديدات والتسلط الذى توجه اليهم العظمة . فبينما نجد سعة الكفة تساعد على ازدياد الانتاج فانها تهدد الفرد بالخطر . وعلى المدرسة ان تساعد الفرد على مكافحة هذا الخطر .

مطالب الوحدة الاجتماعية من التربية

أما الوحدة فانها تتطلب مطاليب من نوع آخر . لما كان ترابط الانسان وترابط اعماله آخذاً بالازدياد يوماً فيوماً ، الفرد مع افراد آخرين والجماعة مع جماعات اخرى والامة مع أمم أخرى، فهناك حاجة لوجود نظرة وافية لتشمل بعنايتها كل هذا الترابط والتضامن المتزايد. ولا يكفى لذلك شيء أقل من العقلية العالمية — أى قابلية رؤية المعضلات الاجتماعية فى الكفة التى هى فيها. ويظهر أن الحاجة الى ذلك عظيمة فى هذه البلاد على الاخص ان بعدنا (الاميركيين) المادى من بقية العالم هو عظيم ، وانبساطنا فى العيش شامل الى درجة تجعلنا لانحس بالموقف حساً وافياً . ولكننا كلما اسرعنا بمجابهة الحقائق بصراحة واعترفنا باهميتها ، كلما كان ذلك احسن لنا وللعالم . فمن وجهة نرى أن مفهومة القومية بما يصحبها من عواطف هائجة تنشل يوماً فيوماً فى مجابهة حقائق الحياة باستقامة . قد يكون سماع البعض بان القومية هى مجرد نظرية وأن على كل نظرية أن تجابه حقائق الحياة باستقامة شيئاً جديداً لهم . قد يرغب هؤلاء بان يدعو قوميتهم « بالوطنية » وهم يظنون انها بذلك تعلو على مايمكن ان يوجد من حسد الحقائق ، وأحسن من ذلك انها تصبح ، الا لدى الخائنين ، الحقيقة العليا المتحدة نوعا ما مع الله والتى يجب ان تنحنى أمامها كل الحقائق وكل الناس . ولكن للقومية اذا

اذا فسرت بهذه الصورة تاريخ كما نعلم وان مفهومة السيادة القومية المطلقة هي حديثة العهد في العالم نسبياً ، وهي لا تصلح ولا شك لعالم ينمو الترابط بين اجزائه ، كما ان مفهومة السلطان الفردي المطلق غير صالحة . انا اكثرنا لا يعترف بان فرداً يعيش في علاقات اجتماعية يستطيع ان يكون القاضي الوحيد لسلوكه وتصرفاته الشخصية او أن تدخل الحكومة لمنعه او اجباره في أي نقطة من نقاط اعماله يعد تحرشاً غير مسموح به بحريته الشخصية في أن يقضي ويعمل كما يرغب هو وحده . بالطبع ان البعض يتمسكون بهذا المبدأ فيما يخص الاشخاص ولكنهم ينكرون على الحكومة اية قوة اجبارية . وان هؤلاء المتمسكين بهذه النظرية هم الفوضويون . هكذا يسمون انفسهم وهم في الحقيقة كذلك . فعندهم ان كل شخص هو سلطان مطلق ويجب أن يعامل على هذا الاساس . وما حكومتهم العديمة القوة الا نتيجة ملازمة لهذه النظرية . هم يتمسكون على الدوام بمبدأ السلطان الشخصي المطلق .

يظهر ان أن تشبيه مبدأ الفوضوية بمبدأ القومية هو تشبيه تام . فكما أن الفرد في الفوضوية هو الحاكم المطلق وله وحده الحق في أن يقول ما يريد أن يفعل وما لا يريد ، كذلك في القومية المألوفة . فان الامة الواحدة تريد السلطة المطلقة عينها بالضبط وتريد أن يكون لها وحدها الحق في أن تبت في ما تريد أن تفعله ومالا تريده . فكما ان « اجباري أنا » في عرف الفوضوي خطأ — سواء كان هذا الاجبار صادراً عن شخص آخر أو عن الحكومة — كذلك في نظرية القومية المألوفة ، فان اجبار « أمتي » هو خطأ سواء صدر هذا الاجبار عن أمة أخرى أو عن نظام أمم عالمي . والحقيقة هي ان كلتا النظريتين فوضويتان الواحدة تنطبق على الافراد والاخرى على الامم . فكما أن التاريخ أقنع البشر بأن القوانين ضرورية للحصول على أنجع حرية يتمتع بها كل فرد في علاقاته مع الاخرين ، كذلك أخذنا نقتنع يوماً فيوماً — بفضل الوحدة التي تزيد في التلاحم حتى أوشكت أن تجعل العالم

كله وحدة اجتماعية واحدة — بأن القانون يجب أن يحكم الامم فى علاقاتها مع بعضها . واذا كان القانون ينفذ بالقوة لحماية الشخص الضعيف من تعديات القوى الغير مباحة ، فلم لا يطبق ذلك فى حق الامم ؟ ان العالم أخذ يرى هذه الحقيقة و يتفهمها بتزيد ، ولا ينكر هذه الحقيقة بالفعل الا الفوضويون .

قد نختلف فى كيفية تقدمنا لمجابهة مشكلة العالم المتوحد ؛ ولكن ذلك لا يمنعنا من التقدم . فان هذا التوحد يسير بخطوات ثابتة الى الامام . اذن فعلى مدارسنا أن تعطى النشء رؤياً للحقائق وقابلية لادراكها بحيث يستطيعون مكافحتها كما هى . ولا بد أن نعيد ماقلناه آنفاً وهو أن لا شىء يكفى ذلك أقل من العقلية العالمية . وهذا بالطبع يعنى تجديد لمنهجى التاريخ والجغرافية ، واعطاء علم الاجتماع بطريقة جديدة شاملة . فان التاريخ العتيق والجغرافية العتيقة بما فيها من تحريف تعمدى للحقايق يمنعاننا من رؤية الموقف الفعلى الاتى بصورة حقيقية صحيحة . فان الطريقة العتيقة كانت تفرق الانسانية وكان ذلك قصدها . فسببت بذلك ماسببت من التفرقات الاممية والعداوات وكان ذلك غرضها . ولكن هذه الاوضاع لا تمكن أطفالنا من حل مشاكلهم . فان الجيل القادم سيجابه عالماً مختلفاً وانه سيجابه عالماً متوحداً . ان الحقيقة هى التى ستحرر ناشئتنا ، وعلى الحقيقة ينبغى أن نعتمد .

مطالب الدمقراطية

ان الظاهرة المميزة التالية التى وجدناها فى تحليلنا الحضارة الحديثة هى الدمقراطية و لا نحتاج مفهومة نألفها الى هذه الدرجة الا الى حيز صغير هنا . وعلى كل فليست بالمهمة السهلة أن نتعلم كيف ننجح فى الدمقراطية . ان النظرية التهذيبية الحديثة تخبرنا بانا لا نتعلم ما لا نمارسه . فاذا شئنا أن نتعلم الدمقراطية علينا أن نمارسها . و ربما كان من دواعى فشل الدمقراطية أننا لم نجربها فى الحقيقة قط . فاذا كان ولا بد من أن يصبح العالم دمقراطياً

فقد اتضح بان على الشعب أن يتعلم ذلك ، وان نوعاً من أنواع التربية يجب ان يعلم ذلك فى محل من المحلات أو بطريقة من الطرق . احدى الطرق هى أن تعلم المدرسة ذلك. وهذا يعنى بأن المدرسة يجب أن تمارس الدمقراطية، فقد كانت مدارسنا لحد الان استبدادية الى درجة كبيرة . وان تلاميذنا على وجه العموم لم يمارسوا الدمقراطية بل يمارسون الطاعة ان لم نقل الخضوع للسلطة الفردية المطلقة . فالاطفال يجدون ان مايجب أن يعملوه ويفتكروا فيه مقرر لهم بصورة غير مطمئنة . وما دورهم تجاه ذلك الا دور القانع المستسلم ، فانهم يجب ان يروا بدون أن يسمع لهم صوت وأن ينتظروا الى أن تدعوهم السلطة الى التكلم . ومسؤوليتهم الرئيسية ان لم تكن الوحيدة هى الاطاعة . ان الاسلوب التهذيبى نفسه كان يعبر عنه بتعبير استبدادى . فالتعلم لم يكن بحثاً و استنباطاً مسؤول عنهما الطالب بل عبارة عن تلق اعمى . ثم ان مايتلقاه الطالب هو اكثر مايخص المستقبل البعيد فحسب . وبهذه الطريقة فقد اعتبرت حياة الطفل الحاضرة واسطة للمستقبل فقط . وهذا يطابق ماقاله البعض بان الطفولة على هذا الاساس لم يعتبر كغرفة تامة من غرف بيت الحياة بل هى مدخل لهذا البيت، فهى مدة اعداد للحياة المتأخرة فحسب . وصفوة القول فكل الاسلوب المدرسى الخاضع للتقاليد كان بطريقة من الطرق مضاداً للدمقراطية على الاغلب .

لاشك أنه من الطبيعى أن يعامل الاطفال معاملة استبدادية مادام المعلمون انفسهم يعاملون على هذا الاساس . ومن مشاكل نزعتنا للتجمع هى مشكلة تكاثر عدد المدرسين والتلاميذ معاً. وان الجماعات تؤدى حتما الى اهمال الافراد . مع ذلك فانا نجد نزعتين تتنازعان السلطة فى ادارة المدارس : النزعة الاولى هى توحيد الرأى فى منبع سلطة مركزى وصدور الارشادات اللازم اتباعها فيما يخص المنهج وطرق التدريس من هذا المركز للتنفيذ . وان هذه هى الطريقة الاستبدادية عينها طريقة

المعمل ، تطبق حيث تتجسم اضرارها بصورة عجيبة . وان التربية تنكر ذاتها بذاتها فيما لو اتبعت هذه الطريقة . والنزعة المضادة تخالف هذه تماماً . فهي تسعى لان توصل ادارة المعلم نفسه واشتراكه فى تحمل المسؤوليات الى اعلى حد ناجع ممكن . ان خطة فعالة كهذه هى اصعب ايجاداً وأبطأ انتاجاً فى الظاهر وأقل عرضة لتدخل السلطات الادارية ، وربما كانت اكثر تكليفاً فى النفقات ايضاً . انها خطة جديدة محاطة بالمصاعب ولكنها هى خطة الدمقراطية . وان مدارسنا يجب أن تجد سبيلها الى هذه الخطة ولكن بصورة أكيدة ؛ ذلك ، اذا شاءت أن تلبى نداء الدمقراطية والاخلاق من جهة ، ونداء التربية من جهة اخرى . وفيما عدا هذه الطريقة — كما سبق فقلنا — فالتربية تنفى ذاتها .

التربية ومشكلتنا الاجتماعية المتبدلة

يجب أن نلاحظ طلباً آخر تتطلبه الدمقراطية . فاذا كان المقصود نمو تلاميذنا بحيث يصبحون مواطنين Citizen اكفاء فعليهم أن يألفوا مشاكل الحضارة و يتعرفوا عليها كلما تقدموا فى السن. وذلك مع المراعاة اللازمة لنمو وجهات نظرهم وأولاعهم . وان درساً كافياً لما كتبه مفكروا « الحدود » يزودنا بالمعلومات اللازمة عن أهم المشاكل الاجتماعية التى ستجابه الجيل الناهض بصورة من الصور (*) . أما كون الكثير من هذه المشاكل يناقض بعضها البعض، فانه يزيد فى قيمتها التهذيبية فيما لو عولجت كما يجب. وليست الغاية تسليم الاحداث حلولا لهذه المشاكل؛ بل تنشئة أساليب مهاجمتها عندهم مع تنشئة التقدير بفطنة للمسائل نفسها ولما يتعلق بحلها من الحقائق.

(*) راجع العمل المهم الذى قام به زميلى الدكتور هارولد د . رك فى هذا الباب وهو كتابه عن « الحياة الاميركية وتجديد تكوين المدرسة » هاركورت ١٩٢٦

Dr. H. O. Rugg's "American life and the R construction of the School". Harcourt 1926.

ولا شك فى أن ازدياد اهتمام المدارس الثانوية والكليات بهذه المسائل هو ضرورى . ان شتى المعارضين الذين يهمهم — وربما كان ذلك عن غير قصد — التمسك بالتأخر الاجتماعى — الاخلاقى سيقاومون هذه النزعة ، حتى أنهم فى بعض الاحيان وفى بعض الاماكن قد يؤخرون تحقيقها (٥) . ولكن الطلب راهن جداً ولا تمكن مقاومته بنجاح . اذ الحضارة نفسها تحت خطر .

افول السلطة الموضوعة ومطاليبه

ان افول السلطة الموضوعة من الساحة الاجتماعية — الاخلاقية يلقى على المدارس طلباً آخر . بينما لم يكن من غايات هذا الكتاب البحث فى المسائل الدينية ومع ذلك فان العلاقة بين الدين والمسائل الاخلاقية محسوسة الى درجة تضطرنا الى ان نقول كلمة مرور نستطيع — على مايظهر — ان نحكم بتأكد بان السلطة الخارجية هنا كما فى الاماكن الاخرى تستسلم للسلطة الداخلية . وان تيار الافكار المفحوصة الذى لا يقاوم يجرف هنا كما فى الساحات الاخرى . فالمشكلة الاتية التى قد تجابه من وهب ممن يقدرون الدين ، هى ان يجعلوا هذا الانتقال من اساس السلطة الخارجية الى السلطة الداخلية سهل الادراك وان يفعلوا ذلك تماماً . على ان يضعوا حلهم بشكل جلى والفاظ واضحة ، بحيث يتيسر لاصحاب القلوب والعقول الضعيفة ان يقبلوها بدون ضياع شىء اساسى . ان تخوف « الاساسيين »

---

(٥) ان احد الصحافيين فى مدينة غربية متوسطة انتقد بشدة فرع الدكتورك فى العلم الاجتماعى المعطى فى مدرسة محلية معترضا على معالجة المشاكل الاجتماعية الجارية . ولاثبات مدعاه نقل من بعض الكراسات المستعملة فى الفرع . ولكن طالبا من الصف السابع شكى الى ابيه قلة انصاف هذا الصحافى الذى لو راجع اقساما اخرى من كراسات اخرى لضعف اعتراضه ان لم يكن قد عدل عنه . وجلى ان هذا الولد كان يتعلم سعة فى النظر وانصافا فى الحكم لم يحصل عليهما الصحافى .

Fundamentalists يوضح لنا الحاجة بصورة حقيقية . كما ان غضبهم يتطلب مسؤوليتهم . يخال لى ان ليس ثمة اية حركة معاصرة اخرى توضح جيداً الفرق بين مفهومى التبدل : فاحدى الفرقتين المتنازعتين تنكر على التبدل اى مركز اساسى بينما الاخرى تريد ان تتوجه وتضعه فى المحل الارفع. ويجدر بنا ان نلاحظ بان «الاساسيين» فى جدالهم هم اكثر تطابقاً منطقياً من خصومهم على الاغلب، ذلك لان موقفهم هو مستحيل بكليته . ان المجدد يستسلم للحقائق المثبوتة ولكنه فى الغالب تفوته رؤية مضامينها الضرورية او قبولها . هو يتردد فى النزول الى جذور المسائل . فلا يكفيه قبول تطور الانسان او الكتاب المقدس بل عليه ان يفكر فى مضامين هذا التطور نفسه . ان المقاومة المتبادلة هنا هى متقابلة وفطرية . الجدال باق الى الممات . وما لم يحسم هذا النزاع لن نجد على ما يظهر اتفاقاً مرضياً للطلب المهم التالى، الا وهو التربية الاخلاقية .

واشد مما سبق افول السلطة الموضوعة فى الاخلاقيات . ويظهر ان الحركة قد اشتدت بصورة محسوسة فى العشر سنوات الاخيرة وان كانت بالطبع تجمع قوتها منذ زمان بعيد . وانها تتعلق - على ما يظهر - بما يسمى « تحرير » النساء ؛ طوراً لان نصف الناشئة اشتركت بالمباشرة فى هذا التحرير وطوراً لان الجنس والمعاملة الجنسية كانت ولا تزال المستمسك الكبير بيد اصحاب السلطة الموضوعة . ولا نحتاج هنا لحسن الحظ ان نحاول فصل خيوط العرف المعقدة ، والحقيقة التى تنطوى عليها فى هذا المضمار المزعج . ويكفينا ان نقول — ان حقاً او باطلاً — بان الناشئة قد مسكت باسنانها قطعة بصورة هائلة . ولا تنحصر هذه النزعة فى هذه البلاد فقط ، ولكنها تظهر منتشرة باسماء مختلفة وبدرجات مختلفة من التأكيد فى كل انحاء العالم . ويظهر ان العنصر العام فى كل هذه الاحوال هو ان الشباب اخذ يحل مشاكله الى درجة كبيرة لنفسه . وان استسلام الشباب لمجرد اوامر اوليائهم اخذ

يقل يوماً فيوماً. كما ان قبولهم العادات والعرفيات الموجودة وتعلقهم بها اخذ بالتناقص ايضاً. وهم لايزالون يصرون بالحاح على « لماذا » التي تتطلب جواباً مقنعاً. وليس ضرورياً بالرغم من التخوفات الشائعة ان تكون نتائج هذا التساؤل رديئة كما سبق فاشرنا الى ذلك. الا يحتمل ان يؤدي ذلك الى التقدم الحقيقي في الاخلاقيات؟ فاذا كانت الفكرة المبدعة قد انجزت ما انجزته في العلوم الطبيعية فلم لا تفعل ذلك هنا ايضاً؟ هل هذه المحرمات Taboos التي كان اسلافنا يلبسون الاعمال الاخلاقية بها بهذه النجاعة هي التي تمنعنا الان من ان نتأمل التقدم في طرق معيشتنا معاً؟ اما عدم تمكننا من رؤية خطوط السير المقبلة او تسميتها فليس بحجة كيدة. فاننا لا نستطيع ان نتكهن ماستكونه الماكنة الجديدة ايضاً. فلماذا ننكر على الواحدة مالا ننكره على الاخرى؟

اذن فما يرجى من المدرسة؟ هذا المقدار واضح: علينا أن نساعد ناشئتنا لان يحلوا مشاكلهم الاخلاقية. فاذا سألونا « لماذا » علينا أن نساعدهم على الوصول الى السبب الحاكم. هل البعض يخافون المخاطرة في البحث خشية الا يجدوا سبباً؟ فان كان السبب طفيفاً أو غامضاً بحيث لا يظهر بعد البحث التام عنه فاهماله وعدم الاكتراث به لا يعد خسارة كبيرة. «ولكن» يقول البعض، ان طبع الشاب حار. وشهواته ملتهبة. ونخشى أن يؤدي به بحثه الى الجهة المعاكسة، بحيث يجد الاعذار لتحقيق رغائبه فلا يهتم بالسبب الصعب الادراك الذي يمنعه من تحقيقها. وعلينا، أعتقد، أن نسلم بوجود الخطر هنا. ولكن سياق الامور يدلنا على ان هذه وليست نظرية تجابهنا. وعلى المدرسة ان تجابه الحقائق كما هي. فاذا كان التساؤل شائعاً في الخارج الى هذه الدرجة، فالشاب أيضاً يتشوق للسؤال. وهذا هو الطلب الموجه الينا. موقف جديد في الاخلاقيات يجابهنا. فقد تحطمت الخطة العتيقة واصبحت لا تلائم حقيقة التبدل السريع الوقوع

على الدوام . وعلينا أن نجد خطة تهيء للمستقبل المتبدل المجهول . وبعد زوال السلطة الخارجية علينا أن نساعد ناشئتنا ليجدوا السلطة الحقيقية الوحيدة التي في وسعها أن تستدعى الاعتبار، اعنى السلطة الداخلية المبنية على «ما هي النتيجة اذا جربناذلك؟» . انهذه الطريقة كطريقة للمعالجة تعدنا بالثبات في وسط التبدل . ومع انهذه الكيفية للمعالجة هي صعبة الا انها يمكن أن تدرس ويمكن أن تتعلم . الامارات مبشرة . أن ناشئتنا أمينة ومتيقظة . وما يطلب منا هو مساعدتهم ليروا لماذا يجب أن يعملوا ما هو لازم . ومتى رأوا ذلك علينا أن نعلمهم كيف يعملوه . السلطة الموضوعة في الاخلاقيات تنازع . واخلاقيات أفضل منها يجب أن تعيش .

فلسفة التبدل السريع ومطالبها

ان النتيجة العليا التي انتهى عندما كشفنا عن العالم المتبدل، هي حقيقة التبدل السريع المتزايد على الدوام . فقد نفذت هذه المفهومة الى اعماق بحثنا منذ وجدنا ها بحيث لم تعد تحتاج الى ملاحظة اطول . لم يكن في ماضي التاريخ قبول التبدل وادخاله الى اعمق افكارنا أمراً هاماً . وقد وجدنا بنظرة سريعة أن أكثر المفكرين كانوا ينكرون على التبدل صحته الاساسية . اذن فالمسألة التي كانت فيما مضى أكثر ماتخص الحلقات العلمية اصبحت اليوم في عصر الصناعة تستدعى الاهتمام . فالتبدل سريع جداً، بحيث لا يمكن التغاضي عنه . وكلما اجلنا الطرف كلما ازدادت الشواهد على ذلك . فلم تعد نظرية ارسطاطاليس تغني بعد . وفي مجرى امورنا الحالي علينا ان ننظر مع **رامونه** الى الوراء والى الامام الى تبدل عام شامل غير منقطع . وعلينا ان نوافق **جمس** بان الكون الذي نحن فيه واسع مفتوح . وقد ارتفع عنه الغطاء، ونحن نجابه مستقبلا مجهولا لم يعين الهدف فيه . وسواء شئنا أولم نشأ، فان فلسفة التبدل هي الفلسفة الوحيدة التي تستطيع ان تعالج هذا العالم وتهدينا للسير فيه ، وان مشكلة الانسان الفكرية الان

قلما يسير الانسان على منوال واحد ؛ وعليه فقد حدثت انحرافات عديدة عن الموضع المنطقي لتجعله ينطبق على النظام المتبدل . ولكن الفلسفة العتيقة ، لا تزال تتباطأ في سيرها : فيجب علينا أن نجابه الحقائق . وان نفكر في المضامين التي تلقها علينا .

فعلى التربية اذن ان تجابه مستقبلها المجهول جداً بادراك ودراية . وان موقعنا وان كان متحولا الا أنه مرن وقابل للانضباط ضمن حدود معينة ، وان العوامل التي يجب أن تقودنا على الاكثر يمكن أن توضع بتعابير مثل : التبدل ، والتبدل السريع المتزايد والمستقبل المجهول والتفكير والضبط ضمن حدود والاسلوب التجربي وفحص الافكار بنتائجها والاساليب المؤيدة بالفحص . ومما اننا نتذكر التقدم غير المستو في الثقافة يجب ان نؤكد بصورة خاصة على النظرة الاجتماعية — الاخلاقية ، وان نمسكها بمسكة قوية لنأتي بها ونجعلها تحاذي المظاهر « المادية » السريعة الحركة لمدنيتنا الحاضرة .

ان هذه الملاحظات تعني تحديد غاية المدرسة ومسلكها . فالمنهج والطريقة يجب ان يوضعا على اساس حراكي ، عوضاً عن ذلك الاساس القراري . فنظراً الى انحلال العائلة والمجتمع كعوامل تهذيبية وبناء على التبصر الجديد في اسلوب التعلم يجب أن تكون المدرسة محلا تجري فيه الحياة والاختبار الحقيقي .

فعلى هذا الاساس يستطيع اطفالنا أن يتعلموا مايحتاجون اليه . وكل هذا سيستدعي تبديلات متوازية في المعدات المدرسية ، وفي الكتب الدراسية وفي الادارة وفي الاهداف ، وان جهودنا الجديدة يجب أن توجه مبدئياً الى الاوضاع الصحيحة وأوجه النظر واساليب المعالجة .

وماهي النتائج التي نترقبها ؟ الجواب قد اعطيناه آنفاً بصورة قطعية . فمن جهة يجب أن تتكون عند احداثنا نظرة حراكية وتبصر وعادات

وأوضاع يمكنهم من تعيين مجراهم وسط التبدل . وللوصول الى هذه الغاية عليهم ان يزيدوا فى قابليتهم على الوقوف على ارجلهم مستقلين كلما تقدموا فى سنهم ،وذلك بان يقرروا مسائلهم بانفسهم بتعقل .

اما نحن اولياءهم فعلينا ان نتنازل عن كل سلطة ندعيها عليهم . فلا يستطيع جيل أن يربط الجيل التالى بحلوله القديمة بعد . ومن جهة اخرى على الاحداث ان يتعلموا تلك الفنيات Techniques العامة والمرنة التى تؤهلهم بالخدمة فى المستقبل المجهول . نحن لانستطيع ان نعرف مشاكلهم المقبلة بالضبط . واقل من ذلك معرفتنا بالاجابة على تلك المشاكل . ولكننا نستطيع الى درجة ما ان نتنبأ بالمجرى العام ونخطط مشاكلهم . فنستطيع ان نضع بين ايديهم بدرجة ناجعة ماعندنا من المعطيات المفيدة . ونستطيع بصورة خاصة ان نسلمهم بفطنة ثاقبة احسن ماعندنا من اساليب مهاجمة المشاكل بما فيها اسلوب انتقاد الاساليب . كل ذلك بتهيئة الجيل الناهض بقدر مانستطيع من النجاعة لمجابهة المستقبل المجهول المتحول .

هذه هى الطلبات التى تقدمها حضارتنا السريعة التبدل للتربية .

التربية المتبدلة

التربية آخذة بالتبدل الآن

ان مدارسنا آخذة بالتبدل تواً . وكل فرد فى سن الكهولة يرى كيف ان المدارس اليوم تختلف عما كانت عليه فى ايام حداثته . وكل والد يلاحظ التبدلات ، ولاسيما الاباء السعداء الذين لهم اولاد فى خيرة المدارس الحديثة . وكأنى بهم يتبادلون الرأى حول التربية الحديثة :

« الاطفال هذه الايام يحبون عملهم فى المدرسة »

« يحبونه لانه لعب وليس بعمل » .

« انت تنعته باللعب ؟ أنا اسميه عملا : فهم يشتغلون اكثر من المألوف ويتعلمون اكثر ايضاً . حقاً يصعب أن تدعوا ذلك شغلا . »

« والانضباط ! اذهب وانظر : انهم يتجولون ويتحادثون معاً . وفى ايامنا كنا نجلس جامدين كما كنا نؤمر بذلك » .

« نعم . ولكن الانضباط الان هو أحسن منه فى السابق . انا كنت هناك وشاهدت » .

هكذا تبدى الاراء . فما هى الحقائق ؟ وكيف تبدلت مدارسنا ؟ ولماذا تبدلت ؟ وما هى علاقات هذه التبدلات بالتحولات الاجتماعية ومطاليبها التى كنا ندرسها ؟ وماذا سيحدث فى المستقبل ؟

اما كون المدرسة الجديدة الحقيقية مختلفة فتلك حقيقة ناصعة وليس لانطباع الاول الذى تحدثه المدرسة فى اذهان المسنين مسرا لهم وعلى كل فانهم يجدون أقل اتقاناً فى الاجتماع واكثر حركة فردية واقل سيراً فى خطوط مستقيمة من السابق ، وربما وجدت اليوم كراسى متحركة

لا قماطر: وهذه الكراسي ايضاً لم توضع في صفوف مستقيمة. وقد نشاهد هنا جماعة من التلاميذ يتحدثون مع بعضهم بكل جد عن مسألة ما، وهناك جماعة أخرى يتداولون مع مدرسهم. وقد تشاهد جماعة أخرى تخبرك انها ذاهبة الى المكتبة. ولم يكن في ايام حداثتنا للمكتبات أي دور في الصفوف الواطئة؛ وان كان لها شيء من ذلك فقد كان صغيراً ويظهر أنها اصبحت الان في اكثر المدارس مركزاً لبعض انواع الدراسة، فمروق كهذه اصبحت واضحة في المدرسة الحديثة.

وماقولنا في الانضباط؟ نحس صنعاً لو اجلنا البصر الى الماضي بهذا الخصوص: ففي ولاية بوسطن سنة ١٨٤٥ في مدرسة معدل طلابها ٤٠٠ كان معدل الضرب بالسياط ٦٥ ضربة في اليوم، أي بحساب ضربة واحدة كل ست دقائق وفي السنة عينها في ولاية مساجوست انسدت مئات من المدارس الريفية، ذلك لان التلاميذ طردوا المعلمين منها وبما كانت مساجوست اذ ذاك في طليعة ولايات مملكتنا ومن ذلك العهد الى الان نجد أن الضرب والاضراب كلهما قد تقصا على التمادي في كل انحاء البلاد. وقد أخذ ينشأ بدلا من التنازع الطبيعي بين المعلم والتلميذ روح مختلف، روح احساس بمصلحة المجتمع ليس للضغط فيه بالطبع الا نصيب صغير، لا يزال آخذاً بالتصاغر وما قولنا عن سلوك تلاميذ؟ اذهب الى المدارس الثانوية الجيدة، مثلا، ولاحظ كيف ان جمهرة من الطلبة تقوم بكل نجاح بتدبير، حركة السير، داخل القاعات. قد لا ترى اية علامة لهذا التدبير فكل تلميذ يذهب بصورة هادئة ومنتظمة الى صفه التالي. سل المدير، يخبرك بان الزلات عن الانضباط اللازم قليلة، ومتى حدثت فانها صغيرة تكاد لا تستحق الذكر ليس لان عصر السعادة والنظام قد حان. وفي الحقيقة ان بعض اساليب الشبان الخارجية تستدعي العناية والاهتمام. ولكن الانضباط كما تعرفه المدرسة

العتيقة آخذ بالزوال على الاكثر

وكلما اكثرنا من درس هذه التبدلات كلما اتضح لدينا على الاكثر انها جزء لا ينفك من الحركات الاجتماعيـــة العامة التي كنا في صددها. فالمطاليب الاجتماعية بما يوازيها من تبدل في المدارس كانت ولا تزال تعمل منذ عشرات السنين، وقد ازداد عملها في العشرين سنة الاخيرة: فقد تحركت المدرسة الى الامام بدرجة ما، لتجابه المطاليب الجديدة. ولقد حصل — كما هو منتظر — شيء من الارتياب والتردد في تبديل المدرسة، ذلك لان المدرسة أُسست بالمسألة بصورة غير كاملة، وكان سيرها لمجابهة الموقف الجديد باسلوب الحدس والتخمين، ولئن صرنا نلاحظ بتفهم مانعمله ولماذا نعمله، ذلك لان الطالب أخذ يزداد الان. وان هذا الكتاب هو جواب واحد لهذا الطلب فالقصد منه هو ان يوجه انتباهاً تعمدياً الى الطالب والى اسلوب الجواب الذي يجري الان فقد يصدق هنا كما في كل مكان آخر بان اسلوباً فعالا كان ولا يزال يعمل و ينتج النتائج بدون ان نشعر بعمله. وان درساً صحيحاً للعوامل الاساسية يجب ان ينتج هنا — كما في لاما لن الاخرى ادارة أحسن لدفة الحركة و يؤدي الى غايات أنضل. ونلخص مامر من الفصل بقولنا ان التقدم الحديث هو حقيقة جلية للغاية؛ وان التباطؤ الاجتماعي — الاخلاقي حقيقة ناصعة على مايظهر. وان المدرسة تتحرك تواً بشعور غير تام لمجابهة الموقف. اذن فلنكثر من «لماذا» الشعورية عما يجري الان؛ فقد نرى الغايات بوضوح اكثر، ويمكن ان ندبر وسائط افضل مايمكن أن تدبر. وبذلك نرجي ان نحسن خدمة قضيتنا.

بيانه المشكل:

قد رأينا طبيعة حضارتنا المتبدلة. وقد رأينا بعضاً من اهم المطاليب التي تتطلبها حضارة كهذه من التربية. والانفاق على أي من هاتين الحقيقتين هو اسهل تناولا من الاتفاق على نوع المدارس الضرورية

لمجابهة المطاليب. لقد دار البحث لحد الان — بالرغم من تدخل التفاسير الشخصية — حول مسائل شبحانية يمكن الرجوع فيها الى الملاحظة العامة. أما من الان فصاعداً فمن الانصاف ان نحذر الذين لم يفهموا بعد بأنا ندخل فى ساحة جدال، والسير فى هذه الساحة سيكون فى وجهات تعدنا بأحسن حل للمشكلة.

فيظهر لى انه من الافضل تقديم وصف عام للحالة وبرنامج متطابقين وان كان هذا لا يستطيع فى الوقت الحاضر ان ينال القبول العام له. وربما كان البرنامج متقدماً كثيراً، بحيث لا يتناوله عقل العامة. وربما كانت الفلسفة التى ينطوى عليها جديدة جداً لحد الان. توجد بالطبع احتمالات اخرى هى اقل تملقاً فى الحقيقة. وعلى كل فان الغاية هى تقديم تصميم واسلوب لائقين لمجابهة المطاليب التي رسمناها آنفاً.

لانرى حاجة الى اعادة مزايا حضارتنا الحديثة، بمافيها من تأخر اجتماعى واخلاقى وراء التقدم «المادى» السريع. وانما نرى من الحكمة ان نضع المطاليب الكثيرة المتنوعة التى تتطلبها حضارة كهذه من المدارس فى ترتيب افضل. والتأكيد المناسب هنا قد يؤدى بنا بسهولة اكبر الى رؤية مزايا برنامجنا المدرسى.

يظهر ان المطاليب البارزة من التربية المتبدلة ناتجة عن التأخر العقلى-الاخلاقى عن التقدم المادى، وعن اضمحلال الاخلاقيات المعتمدة على السلط الخارجية وعن مزية تحول مستقبلنا المجهول، مع قلة التبدل فى النزعة الدمقراطية، وفى التبدلات التى تحدثها الصناعة الكبيرة فى المجتمع. ونستطيع — مع مخاطرة الاختصار الزائد — ان نقسم — التبدلات الى ثلاثة مواضيع: اولا وضع الاخلاقيات على اساس التعقل، على اساس «لماذا» المكينة للسلوك. ويجب ان تنطوى عليها كل «ماذا»؛ ثانياً اساليب لمجابهة المشاكل الاجتماعية التى لم تحل بعد: ثالثاً

سجايا اخلاقية قوية مع سعة نظر فى المواقف والاوضاع الاجتماعية .

ولا جرم ان نرى هذه المطالب بنورها الحقيقى الجديد، علينا ان نحفظها فى اذهاننا مرتبطة بعضها عندما نفكر فى المواقف التى تتطلبها والتى تنشأ عنها وما لم نحفظ الاثنين — الموقف ومطلبه — معاً لن نستطيع ان نفهم التربية الحديثة جيداً ، سواء كان ذلك من حيث الغاية أو من حيث الاسلوب وأن الواحد منهما يكسب الثاني نوراً ومعنى .

المدرسة والاختبار الماضى

ان المدرسة المبنية على التقاليد قد اصبحت وفقاً لمفهومتها الاصلية من الزوائد الرسمية فى التربية الطبيعية التي تستحصل من الاختبارات الفعلية . وهذه المدرسة تزودنا على وجه العموم ببعض نتائج اختبار الجماعة التى يظهر أنها معقدة ولا يمكن الاعتناء بها فى اختبارات الحياة الاعتيادية . وكانت هذه الاختبارات فى الماضى عبارة عن فنون المدرسة (القراءة والكتابة والحساب) وعن مجموعة من المعارف ينتظر من كل رجل مثقف ان يلم بها. وقد جربت المدرسة أيضاً ، وفقاً لسكلجة عتيقة ، أن تقتصد فى الوقت وأن تضمن التحقق فى تعليم النشء بعض الدساتير الناجزة من نتائج تفكير الغير . ولذلك كان الكتاب المدرسى فى بلادنا هو المعتمد الاهم . قبل قرن كان الاستظهار الحرفى هو القاعدة المتبعة . وكان المصلحون اذ ذاك يتساءلون فيما اذا كان الطلاب يفهمون ما يحفظون بهذه الطريقة . وقد ظهر للعيان بكل سهولة ان مجرد استظهار دستور لم يكن ليضمن حفظه ولا استعماله الصحيح . وفى الوقت نفسه قام بعض المصلحين الذين هم اكثر تمسكا بالنظريات يطالبون بضرورة ربط الحواس بالاسلوب التعليمى. أما كون الطفل قادراً على اكتساب اختبارات النوع المرغوب فيها

و يحسب أن يفعل ذلك بواسطة تعلم الدساتير فلم يكن ليتجادل فيه اثنان. فكان السؤال الوحيد اذ ذاك كيف يمكن انجاز ذلك . ان مصلحي الجيل اللاحق أضافوا الى ذلك مطلباً آخر ،وهو ان الاطفال يجب أن يفهموا بدرجة كافية الافكار التي يتعلمونها ،بحيث يتمكنون ان يضعوها في الفاظ وعبارات من عندهم . واليوم بعد سلسلة من الجهود نجابهنا المشكلة عينها. كل منا يوافق بأن الاحداث في أمكانهم أن يستفيدوا من نتائج اختبارات الاسلاف المتجمعة والمفيدة لهم . وانهم يجب أن يستفيدوا منها ؛ لكن «كيف ؟» لا يزال موضع التساؤل . فقد ثبت بأن مجرد اكتساب افكار الاخرين بصورة دساتير غير كاف . فما العمل ؟

المدرسة والاختبار الحاضر

في هذا الموقف يدخل تغييران جديدان، فيحولان مجرى المشكلة ويوجهانها الى حلها النهائي : فمن جهة نرى السكلجة الجديدة التي يمكن الاعتماد عليها الى درجة اكبر ؛ومن جهة ثانية نرى التغيرات في حياة العائلة والمجتمع التي لاحظناها آنفاً ، كلاهما يتطلبان ان تكون المدرسة كبيئة تجري فيها الاختبارات الفعلية . فالتربية الطبيعية القديمة التي كانت تكتسب من العائلة والمجتمع يجب ان تقوم بها المدرسة اليوم وهذا يتطلب ان تكون المدرسة حقيقة محلا للاختبارات الفعلية ، اذ في هذه الاختبارات وفيها فقط يقدر الطفل ان يحصل على التربية الطبيعية الملازمة للحياة . والتي كان في السابق يحصل عليها من العائلة والمجتمع . بما ان الحياة التي كانت تزود التربية الطبيعية هي التي قد فقدت . اذن فيجب تزويد الطفل بحياة تربي تربية طبيعية ان الحاجة للاختبار الفعلي المتأتية من ارتخاء الحياة العائلية تجد ساعداً قوياً في التقدم الحديث الذي حصل للسكلجة التهذيبية . وان هذا من الاهمية بمكان يستدعي وقوفا لنوجه اليه الانتباه الذي يستحقه .

تعلم التعلم بالاختبار

كيف يحدث التعلم؟ يمكن ذكر عدة قواعد يجوز التعويل على صحتها الى درجة كافية. ولكن قبل كل شيء: مامعنى التعلم؟ ومتى يتعلم الشيء؟ رأينا آنفاً بان السلوك هو المفتاح لاية تربية قيمة. والتعلم عبارة عن اكتساب طريقة انتهاج. الشيء يتعلم عندما يستطيع فى الوقت المناسب بان يأتى بنوع من السلوك ويأتي به بالفعل. فللتعلم قسم داخلي حراكي بحيث يمكن للشيء المتعلم بان يظهر فى الوقت الصحيح ويتقدم الى العمل بدون مقاومة تذكر. نحن نميز ذلك تواً فى العادات «الرديئة» ويصدق الشيء نفسه الى درجة ما على جميع انواع التعلم. فاذا كان هذا هو معنى الفعل «يتعلم» فكيف اذن يحدث تعلم كهذا؟ اولا يجب ان نمارس ما نريد ان نتعلمه. فانا نتعلم الاجابات التى نقوم بها. فالتمرين المتقن ضروري. هذه التصريحات الثلاث تختلف فى التعبير فقط، اذ كلها تتضمن اوضاعاً داخلية وتقديرات كما انها تتضمن المعرفة والمهارة بقيت علينا مزايا قيمة كثيرة — خذ اللطف مثلا — لا يمكن ممارسته بصورة رسمية. فلا يمكن للمعلم أن يطلب من ولد شرس يعتدى على الاولاد الضعفاء أن يكرس نصف ساعة بعد المدرسة لممارسة اللطف فى المعاملة بصورة مستمرة. اذن فلا تأتى مزية اللطف فى المعاملة بهذه الطريقة. يمكن ممارسة اللطف فى المعاملة فى موقف اجتماعي فقط واذ ذاك يكون كشيء يستدعيه الموقف فحسب. فجواب اللطف يجب أن يكون فى العامل المؤثر وفى المتعلم، يجب أن يشعر باللطف فى موقف فعلي كجزء أساسي من المعاملة. وهذا المثال يوضح لنا واحداً من عدة طلبات تستدعى الممارسة الفعلية فى المدرسة.

وفى ظروف المعيشة الحاضرة لا نستطيع ان نجعل المدارس تحرم

الاطفال المتزايدين فى العدد من احسن فرصة لهم ان لم تكن هى الوحيدة التى يستطيعون فيها ان يتعلموا هذه المزايا الضرورية. فليس رفض مدارسنا أن تكون محلات تجرى فيها الحيـــاة الحقيقية سوى انتحار أدبي لهيئتنا الاجتماعية. العمل يجب ان ينجز والمدارس يجب ان تقوم به للا كثرية. والاختبار هو الطريقة الوحيدة التى يمكن أن تجرى فيه. يظهر ان البحث واضح ولا يتداخله اى ريب.

القاعدة الثانية للتعلم هى أننا لا نتعلم كل ما نمارس بل نتعلم ماينجح معنا فقط. وبعبارة أضبط: عندما نحاول نيل غاية فان بعض جهودنا تنجح والاخرى تفشل، وانا نتعلم ان نقوم بالطرق التى تنجح اما الطرق التى تفشل فانا نتعلم الا نقوم بها. قد يتجادل السكلجيون فى تفسير هذا القانون ولكن حقيقة القانون نفسها لا تقبل الجدل وهى تكفينا لحاجتنا هنا. يجدر بنا أن نلاحظ كيف أن عزم المتعلم وتعمده ما زال هنا فى تعيين ما اذا كانت طريقة انتهاج الفرد سيتدخل الانتهاج فى سجيته كميل ايجابى للعمل. أو أنها ستخرجه منها كشئ مضاد لها ولايجوز القيام به. وعليه فاذا أراد الفرد أن يتعلم بعض الضربات فى لعبة التنس فانه يستفيد من الضربات الناجحة كما أنه يستفيد من الضربات الخاسرة. فالحركات التى تؤدى الى النجاح المعترف به تدريجاً والممارســـة المستمرة فى جهازه العصبى ويزداد الميل عند الفرد لان يضرب بهذه الطريقة أما الضربات التى تؤدى الى الخسارة فانها بالطريقة نفسها تترك ويزداد الميل عند الفرد ولعدم الضرب بهذه الطريقة. فاذا حصل عند الفرد عزم قوى يكفى لان يدفعه الى ممارسة الضربة ويكفى لان يجعله يلاحظ الفرق بين النجاح والفشل فى اللعب ويصحب ذلك سرور عند النجاح واسف عند الفشل — اذا توفرت كل هذه الشروط — فالتعلم يأتي بصورة اوتوماتيـة من النجاح والفشل معاً فتثبت الحركات بحيث تأتي الضربات الصحيحة فى الوقت

المناسب لنفسها . ان العزم على تعلم هذه الضربة هو الذى علم الشخص الضربة . وفى البداية كان الفشل يربو على النجاح ولكن بثبات العزيمة يتعلم الطريق المختار بالفعل . اذن فالتعلم يجرى فى وجهة القصد والعزم .

يشبه ما ذكرنا كثيراً مايجرى فى الساحة الاخلاقية — الاجتماعية . فاذا اردنا ان يكتسب تلاميذنا مزايا طيبة فانا انجح معهم اذا هم انفسهم رغبوا فى النجاح فيها . وهنا ايضاً يجب ان نجرى الحياة الحقيقية ليس لاجل ان نزداد الفرص والمواقف (كما يقتضى ذلك القانون الاول للتعلم) فحسب بل لاجل زيادة الشروط التى تجعل النجاح مرغوباً فيه (كما يقتضى ذلك القانون الثاني) ، وان المشاهدة تقنعنا بكل سهولة بان اوضاع الطلاب الاجتماعيـــة نحو الطالب المقصر هى ذات تأثير اقوى عادة فى تحريض الطالب على اكتساب مزية طيبة من اى شئ يستطيع ان يفعله المعلم . وفى الحقيقة لا يستطيع المعلم ان يتأمل أى نجاح مالم يحرك فى الطلاب الاخرين اوضاعاً اجتماعية طيبة . ان احسن ظروف للتعلم تحصـــل اذا ما اصبح المعلم والتلاميذ متساعدين بالتضامن فى مشروع مشترك حيث تقاس كل مادة وكل مجهود بالنتيجة التى تؤدى اليها فى الحياة المشتركة لا أن تقاس بكلمة من سلطة خارجية . وان المعلم الحاذق فى هذه الظروف يغتنم أية فرصة تجعل التلاميذ فيها يكثرون من ممارسة المزايا القيمة . فاذا اردناهم ان يكتسبوا « الحس بالمسؤولية » فعليهم ان يمارسوا تحمل المسؤولية مع قصد النجاح فى مما سنها فاذا جرى ذلك مع عزم قوى كاف وممارسة متنوعة كافية وشئ من النجاح كاف (اذ لاشئ ينجح كالنجاح ولا شئ يقوم مقام النجاح فى النتيجة) اذ ذاك يكتسب اولئك الطلاب — كل حسب اوضاعه الشخصية واختباراته — حساً نامياً بالمسؤولية . اذا تهيأت الظروف فالنتيجة تتلوها ولا بد . اذن فالموقف الاجتماعى عبارة عن الظروف اللازمة عن وجهات نظر مختلفة لاكتساب المزايا الاجتماعية .

القاعدة او الشرط الاخر للتعلم يتطلب الممارسة الفعلية فى الموقف الاجتماعى . وهذا يتوقف على امل تطبيق ما يتعلم . وقد كانوا يعتقدون فى الماضى بان التحسن فى اى مزية من المزايا — ولنأخذ المحاكمة العقلية مثلا — تفيد حيثما تدعى المحاكمة للعمل . فقد كانوا يعتقدون بان الولد اذا تقدم فى المحاكمة العقلية فى الهندسة مثلا فان محاكمته العقلية ستتحسن فى كل مواقف الحياة . اما الان فقد صرنا نعرف بان هذا الاعتقاد كان مبالغاً فيه كثيراً والامل القديم قد خاب . فالتحسن الحاصل فى موقف من المواقف يحصل فى موقف ثان فيما اذا احتوى الموقف الثانى على عناصر تستدعى وتستخدم ما تعلمه الفرد فى الموقف الاول . فان الولد الذى تعلم الهندسة سيحتاج الى الهندسة ويفكر فى استعمال المحاكمة العقلية التى نشأت فى درسه عند درسه الميكانيكيات ذلك لان الميكانيكيات تستدعى الهندسة وتتطلب نوع المحاكمة العقلية التى نشأت فى درس الهندسة معاً . ولكن ذلك يختلف فى الاتجار بالخيل . فالولد نفسه الذى تعمق فى درس الهندسة ولم يألف الخيل قد لا يجد تطلباً لهندسة ولا حاجة لاستعمال المحاكمة العقلية التي انشأها فيها عند اتجاره بالخيل ، هو قد يقف « ليفكر » و « يمتحن مقدماته المنطقية » والاحتمال بان الهندسة ستساعده على التفكير فى هذا الموقف يتوقف الى درجة ما على الطريقة التى تعلم المحاكمة بها فى الموقف القديم . فاذا كان قد تعلم التعميم بصورة واسعة فالاحتمال قوى بانه سيطبق تعلمه السابق واجاباته على الموقف الجديد . ولكن العامل الاهم فى تطبيق التعلم السابق هو التشابه الواضح الموجود بين الموقف الجديد والقديم . فى ظروف كهذه يحتمل حصول ما يسمونه « بالانتقال » . ولحصول « الانتقال » على انمه فى الموقف الجديد لا يكفى بان يكون فى الموقف الجديد شئ يسمح باستعمال القوة المكتسبة بل يجب ان يوجد فى الموقف الجديد شئ

يستدعى و يتطلب استعمال تلك القوة . و يتضح من ذلك اذن بأنه كلما ازداد التشابه بين موقف التعلم والموقف الجديد كلما قوى احتمال الانتقال وكثر احتمال الاحتياج الى ما يتعلم وازداد استدعاء ذلك . فلهذا السبب الاضافى ايضاً نريد أن تكون المدارس « كالحياة » . ففى ما يخص احتمال انتقال المتعلم كلما كانت حياة المدرسة أقرب الى الحياة خارج المدرسة كلما كانت أفضل . اذن فتزيد المدرسة ان تزود الطالب باختبارات هى أفضل ما يوجد فى خارج المدرسة . فلأجل الحصول على أحسن التعلم يطلب من المدرسة أيضاً ان تزود بالممارسة الفعلية .

بقى علينا ملاحظة شرطين متممين لشروط التعلم ، قبل أن ننهى هذه الوجهة لموضوعنا وهما التعلم « بالتداعى » وحقيقة كون التعلم لا يجرى منفرداً قط . اما التداعى فكلنا نالفه وهو اذا حصل شيئان فى وقت واحد فى اختبار المرء فان فكرة أى منهما تستدعى فكرة الثانى . وفى هذه الاحوال كلما كان الارتباط مؤكداً سواء كان ذلك مسراً او مزعجاً كلما كان الميل للتذكر بالتداعى اكبر . وان هذا التداعى نفسه هو ذو تأثير أكبر مما قد ظنه الكثيرون منا ممكناً . وان المثال الخالد Classical الذى يعطى فى هذا المقام هو كلب باولوف Pawlow قدم للكلب لحم شهى فترطب فم الكلب من سيلان اللعاب . و بينما كان هذا الشئ يجرى ، دق جرس دقة قوية ! وقد اعيدت هذه العملية يوما بعد يوم ، والجرس يدق فى كل مرة وفى كل يوم يجرى اللعاب . وفى النهاية وجد أن مجرد دق الجرس بدون رائحة اللحم صار يكفى ليستدعى اللعاب . فقد صار التداعى يعمل عمله . والجواب (جريان اللعاب) الذى كان مرتبطاً فى الاصل بمنبه طيب (رائحة اللحم الشهى) صار يتلو الان منبهاً مكتسباً (دق الجرس) لم تكن له هذه القوة فى الاصل . ان هذا « الانتقال بالتداعى » او « الاشتراط » كما قد يسمى غالبا هو

السبب للكثير من سلوكنا . فان الكثير من الاجابات الهائجية او العاطفية تدخل فى سجايانا عن هذا الطريق . ان الطبيعة مثلا تزودنا بالخوف كطريق من طرق الاجابة . اما الاشياء التى نخافها بالفعل ، فانها كلها تقريباً تأتى عن طريق التداعى . نتعلم بالتداعى مخاوفنا الخاصة مانحب وما نكره يأتى فى الغالب عن هذا الطريق ايضاً . ان شخصاً من ذوى المقامات المهنية الثابتة اعترف للمؤلف بانه يكره لوناً معينا اذا رآه فى جلد اى كتاب ذلك لان هذا اللون كان لون كتاب لاحد الفروع التى كان يكرهها فى المدرسة الثانوية ، ان الفرع الكبير قد نسى ولكن اللون المرتبط به بقى غير منسى .

وتلى ذلك الحقيقه المتممة القائلة باننا لا نتعلم شيئا واحداً فى الوقت الواحد ولكننا نتعلم دائما اشياء عديدة فى وقت واحد . فكلما نشتغل فيه له اوجه مختلفة وارتباطات متنوعة . و « ترتبط » مع كل واحدة من هذه الاوجه بعض الاوضاع الانفعالية او العاطفية الى درجة صغيرة او كبيرة . وهكذا نتعلم عدة اشياء فى وقت واحد . فالولد فى المدرسة يستظهر قطعة شعرية . وان بعض الاوضاع طيبة كانت او غير طيبة ترتبط بالمجهود و بالقصيدة المرتبطه به ايضا . وان هذه الاوضاع مع عدة اجابات اخرى يمكن ان ترافقها تؤثر — حسنا كان هذا التأثير او سيئاً — فى اوضاعه نحو عدة اشياء اخرى مرتبطة بها — تؤثر مثلا فى اوضاعه نحو الشعر بصورة عامة ، نحو المعلم الذى يدير الدرس ، نحو المدرسة حيث تجرى هذه الدروس ، نحو نفسه ان كان كفؤاً فى هذا هذا الباب او غير كفؤ ، نحو النظرة العقلية — الجمالية Asthetic للحياة ونحو الحكم المدرسى (ومنها ، بعد شىء من التعميم ، نحو الحكومة المحلية وهل ستكون فى نظره مانعة لسفك دماء فانية او بالعكس احسن واسطة للحياة المتضامنة) وهذه كلها تشكل نموذجاً واحداً للاشياء التى تتعلم . فمن

هذه الاوضاع العديدة الملازمة ومن هذه الاشياء التى تتعلم ، وتتكون بمرور الايام الاوضاع الفعالة التى تنمو فتسود بقوتها الكامنة كل نظراتنا العاطفية والارادية فى الحياة . وقد نكون محقين فى اعتقادنا باحتمال تكون اهم هذه الاوضاع بصورة عامة فى الادوار الاولى من حياة الطفل (ومن هنا نشأت اهمية دور الحضانة وحدائق الاطفال) لكن مانستطيع ان نقوله على وجه التقريب هو ان كل مدة الحياة المدرسية فعالة فى هذا المضمار ، فاننا نتعلم اشياء عديدة فى وقت واحد على الدوام . والتداعى يبنى فى كل الاوقات سجاياتنا العاطفية والادارية .

مقارنة بين المدرسة الجديدة والمدرسة العتيقة

وهكذا نرى من جديد عدم كفاية المفهومة العتيقة للمدرسة حيث يذهب الاطفال يوميا غير راغبين و (يدرخون) لاجل « تسميع » الدساتير التى اعدها لهم الراشدون ، الدساتير التى تعبر عن الحلول القديمة التى توصل اليها النوع البشرى للمشاكل الاجتماعية القديمة . ليست هذه المدارس غير وافية فحسب ، بل هى لاسباب متنوعة اخرى مضرة فى الغالب . فلا عجب اذن اذا ما ترك اكثر من نصف التلاميذ مدارسهم عندما يسمح بذلك السن القانونى . ولا عجب اذا ما وجدنا الكثيرين من الراشدين و ياللاسف غير مكترثين بواجباتهم المدنية . والعجب كل العجب هو ان الاشياء بقيت ماشية كما هى لحد الان .

ان هذه الملاحظات المتنوعة ، تؤكد الحاجة الى وجود مدارس على الطراز الحديث . وان فقدان الضبط الذى يلاحظ فى سير تلك المدارس ناتج عن الجهود المبذولة لادخال الحياة بصورة اوسع والاكثار من الاختبار الفعلى وممارسة حكم الذات . فبناء على قواعد التعلم التى بحثنا عنها آنفا لا يمكن تعلم حكم الذات اللازم للحياة الديمقراطية الا بممارسة حكم الذات فى موقف يشبه كثيراً العالم الخارجى فى الديمقراطية . ولذلك فالمدرسة

الجديدة تسعى لان تكون اوسع دمقراطية فى ادارتها لاجل ان تدعو الطلاب الى حكم الذات والتحلى بالفضائل المدنية الاجتماعية بصورة اوسع . وهى لاتكتفى بالحث على هذه الفضائل بل تعطى المجال اللازم لممارستها . ولهذا السبب فان المدارس الجيدة اليوم تجذ اشتراك الطلاب فى ادارة شؤون المدرسة . وهى ترغب فى ان تحمل الطلاب على العمل الفعال المقصود . وفى الحقيقة لو نظرنا الى ماتحت السطح من التربة الحديثة لا نرى تبطراً بل نرى مجهوداً خطيراً لتشغيل احسن مايعرف لحد الان فى بناء السجية . ليست هذه « نعومة » او « تراخ » ولكنه تفكير مقصود يتبع احسن ماتوصلت اليه المعارف العلمية فى طرق حصول التعلم . وما نرغب فيه فى هذه الاحوال هو التداول بين الموقف والطلب و بين الحياة الخارجية والمدرسة وان نرى مايجب ان تكون عليه المدرسة و ما يجب ان تفعله لتجابه المطاليب الاجتماعية الموجهة اليها وفى كل هذا يجب ان تحكم قوانين التعلم بالطبع . ان ما نسعى وراءه هو التعلم — طرق جديدة مثلى للانتهاج — والتعلم لايحصل الا بمراعاة قوانين التعلم . ان المدارس الحديثة قد توصلت تواً الى اشياء افضل . و ربما كان درسنا هنا مساعداً للمدرسة وللجمهور الخارجى معا .

اذا ابصرنا هدف المدرسة بصورة اجلى ستحسن المدرسة طريقة التصويب . ربما استطاع الجمهور ان يشاهد التبدل الفعال فى المدرسة، وقد يستطيع ان يساعد المدرسة اكثر اذا ماعرف اسباب هذا التبدل اذن فالتفهم هو ما يجب ان نحصل عليه جميعنا .

المطالب الحالية من المدرسة

قبل ان نسأل بتدقيق عما يجب ان يكون عليه الاسلوب المدرسى يجدر بنا — وان كررنا ذلك كثيراً — ان نربط العناصر البارزة لقضيتنا والتى كانت متفرقة لحد الان بعضها مع بعضها نحن نجابه اليوم ، مالم نجابههه قط من

قبل، مستقبلا مجهولا متطوراً. وهذا يستدعي ان يتعلم طلابنا التكيف لموقف لا نستطيع نحن معلميهم ان نتنبأ عنه تماما ؛ وهذا بدوره يعني تأكيد نوع جديد من التعليم، مختلف عما كنا نسير عليه لحد الان : كانت تهتم المدارس القديمة في اعطاء اجوبة قطعية ثابتة، فيجب أن تهتم المدارس الحديثة في اعطاء اساليب فعالة للمهاجمة في المواقف الجديدة. ويجب علينا ايضا ان نترك تلاميذنا في الاخرة غير مقيدين ليتحركوا لانفسهم بكيفية و بدرجة لم تصدق على اي جيل ناهض في الماضي. و كل مجهود نبذله لربطهم بطرقنا التي اخترناها لانفسنا عبارة عن اغلال ايديهم لا بل ربط عقولهم في موقف يحتاجون فيه الى الفك والتحرير. قد نكون راضين بمنحهم هذا التحرير فيما يخص وسائط العمل الميكانيكية او الاستعداد البيتي ؛ اما فيما يخص عقولهم واخلاقياتهم، دينهم وفلسفتهم — فاننا هنا نتردد ونرجع الى الوراء ناكسين. نحن نفتكر بالطبع وفقا لتعرق فلسفة ارسطاطالس السائدة لحد الان بأن هـــذه الاشياء اي الروح والعقل لا يمكن ان تتبدل، الجواب هو انها تتبدل اليوم على مرأى — منا ومشهد. سيما بعد ان عرفنا بأن الاخلاق المؤسسة على السلطة الخارجية لم تعد تفي بالمقصود. ان الوالدين في البـــداية، تدريجا وبالتخوف، تنازلوا عن سلطتهم، والان نجدان الشبيبة كلها بكل شجاعة تخرج على هذه السلطة وتدفعها عن نفسها. وان الاخلاقيات الوحيدة التي يمكن ان نعتمد عليها من الان فصاعداً هي الاخلاقيات المؤسسة على أساس «لماذا» التي تمكن الدفاع عنها، والتي تصدق في الحياة الاجتماعية الفعلية. وان هذه لا تكتفي باعطائنا قوة آليه لتعليم الشبيبه المنطبعه على الاستطلاع فقط بل تزودنا بأساس يمكن ان نؤسس عليه اخلاقيات تناسب روح التبدل. والمدرسه يجب ان تقبل هذه المطاليب كمطاليب اساسيه.

ومع هذه المسائل الاساسيه تأتي مسائل اخرى هامه في

ساحة مقاربة لها . ان المشكلة الاجتماعية تؤملنا بتوسع اكبر مما عرفناه فى اى وقت سابق . ان العظمة النامية وما يصحبها من تخصص متزايد فى الاعمال يتطلبان من الجهة الواحدة ولعا ونظراً اجتماعيين اوسع واقوى ، ومن الجهة الاخرى يتطلبان سجايا شخصية واخلاقية تقاوم هذه العظمة الساحقة . ان الدمقراطية تتطلب احتراماً للشخصية ورغبة فى التعاون للخير العام وكلا هاتين الصفتين يعسر الحصول عليهما اليوم لبعض الاسباب . فعلى المدرسة اذن — بطريقة ما و بدرجة كبيرة لم تعرف لحد الان — تؤكد تقوية السجية تقوية اجتماعية حراكية .

و بدرس الهيئة الاجتماعية درساً دقيقا علينا أن ننظر الى المستقبل الى أبعد ما يمكن ان نراه لنعرف مشاكله وقضاياه . وهذا العمل يجب ان ينفذ الى مناهجنا التعليمية. ومع اننا لانستطيع ان نتأكد من تفاصيل المشاكل الاجتماعية المقبلة بالضبط — وذلك افضل للتربية الحقيقية — فانا نقدر ضمن حدود محدودة أن نتنبأ عن بعض المشاكل الغير المحلولة التى سوف تتطلب الحل بالحاح . وان هذه المشاكل مع المراعاة اللازمة لسن الاطفال واولاعهم ، تزودنا بأحسن المواد الدراسية التى يتطلبها المستقبل المجهول الذى اشرنا اليه آنفاً . اذ بها يمكن التوصل الى طرق مهاجمة المستقبل المتحول وتعلمها . اما عدم معرفة المعلمين لحلول هذه المشاكل واجوبتها فانه يساعد العمل ولا يضره . و فى هذه الساحة أيضاً يجدر بنا أن نوجه الانتباه الذى لم نوجهه لحد الان الى اسباب الخير والشر فى المسائل الاجتماعية . اما كون اصحاب المصالح المقررة يعارضون فى هذا التساؤل فانه يستوجب درسها ولا يمنع ذلك ، ولكن هذه المعارضة توضح لنا كثرة المشاكل وخطورتها عند ما نحاول أن نتعهد بالتربية بصورة جدية

على الشعب الامريكى ان يتعلم — ان أراد ألا يتفسخ لعدم قابليته على النمو بصورة متناسقة — أن يتحمل المناقشات ذات الاوجه الجدلية ، اذ انه لم يتعلم ذلك لحد الآن . وعليه ان يتعلم بأن ربط عقول الناشئة الضعيفة واغماض عيونها تجاه الشرور الاجتماعية مناف للاخلاق جداً ومضر اجتماعياً وبما أننا نسعى لعالم أحسن ، من الصعب أن نتمسك بالعالم العتيق . ولذلك فاحسن مواد دراسية للناشئة هى المشاكل الاجتماعية المتوقع حصولها فى المستقبل .

اذا تساءل البعض كيف نستطيع أن نجد وقتاً لدراسة المسائل الاجتماعية المطلوبة هنا مع كون المناهج الدراسية مشحونة بالمواد فى الوقت الحاضر ، فهناك جواب واحد واضح : دع المدارس تتخلص من المواد الجامدة الميتة . ان الذين لهم احتكاك كاف بالافكار التهذيبية يقتنعون يوماً فيوماً بأن منهج الدراسة الثانوية الحاضر يبقى على حاله ، ليس لان بقاءه مبرر بل لعدم وجود مواد جاهزة يركن اليها ويمكن اتباعها لتحل محل المواد الحاضرة فمن مناهج اكثر التلاميذ مثلا يجب ان تحذف اللغة اللاتينية كما تحذف اللغة اليونانية وكذلك قل عن اكثر الرياضيات من مناهج اكثر التلاميذ . وان الكثير من مواد التاريخ الحالية يجب ان تحل محلها دراسة المشاكل الاجتماعية (اذ يستفاد من التاريخ بهذه الطريقة اكثر من الطريقة القديمة) . ان اللغات الاجنبية الحديثة لا لزوم لها للكثيرين الذين يدرسونها اليوم . اما بخصوص اللغة الانجليزية (وفى البلاد العربية اللغة العربية) والعلوم فانها تحتاج الى تجديد البناء من جديد لا ان تحذف ، واذا ما تكلمنا هنا عن الفروع باعتبارها مستقلة عن بعضها ، فلا يعنى ذلك بأننا نعتقد بأن الفروع المنفصلة عن بعضها هى أفضل وحدات دراسية ، تلك مسألة لا تزال

منازع فيها وسوف نلاحظها فيما بعد . اما ايجاد مكان لدراسة الاجتماعيات فى المنهج فليس المعضلة الحقيقية ، اذ يوجد وقت وافر لها .

نوع المدرسة التى نحتاج اليها

عندما نلاحظ نوع المدرسة المطلوبة تجابهنا ثلاثة اشياء : أولا يجب أن تكون مدرسة حياة تجرى فيها الاختبارات الفعلية ، اذ لا تستطيع مدرسة غير هذه أن تهيء الظروف اللازمة للتعلم . ثانياً ، يجب ان تكون محلا يكون التلاميذ فيه فعالين عاملين ، حيث تتشكل وحدات الاسلوب التعليمى من مشاريع التلاميذ ومقاصدهم . ذلك لان الفعالية المقصودة هى الوحدة النوعية للحياة الجديدة حيثما تكون . ثالثاً ، يجب ان يكون فيها معلمون يشعرون مع الطفولة من جهة ، فيعرفون بأن النمو لا يأتى الا بفعالية التلميذ . ويعرفون من الجهة الثانية بأن النمو لا يكون نمواً الا متى أدى الى ضبط واسع مؤثر — ويعرفون بان النمو اذا قسناه بالضبط لا يتاثر الا بطرق انتهاجات أفضل وأوفى يكتسبها الشخص بالتقدم ، وأن اختبارات النوع المتجمعة هى كنز لا يثمن ومنبع للموارد غير كامل وغير تام جاهزة للاستعمال لهذه الغاية .

الاختبار الفعال فى المدرسة

لقد بحثنا توا عن كون المدرسة محلا للاختبار الفعلى والتجربة ولا يعنى هذا - كما ظن البعض - ترك اختبارات الاخرين وتجاربهم ووضعها جانبا . كلا أن منهجاً منفياً كهذا وهمى الى حد التطرف . ولا يمكن ادراكه قط ، فان اختبارات النوع المتجمعة تحيط بنا من كل جهة وتنفذ الى كل مناحى حياتنا ، ولو امكن لقلنا انها نافذة أكثر من الهواء الذى نتنفسه . فالسكنى فى البيت ولبس الملابس ، والجلوس على الكرسى ، والاكل والشرب — كل واحد من هذه الاعمال لا يمكن اجراؤه مالم نستعمل نتائج اختبارات الآخرين وتجاربهم بوفرة . وفى الحقيقة نحن نختبر فى الغالب كما

تعلمنا أن نستعمل او نكيف الاساليب وطرق الانتاج التى هى من عمل النوع . ألا توجد مشكلة هنا إذن ؟ نعم توجد مشكلة . وربما ساعدتنا هنا كلمة فى توضيح معنى الاختبار لحل هذه المشكلة . قد يظن غالباً بأن الاختبار عبارة عما يأتى للمرء ، كما لو اختبرت الاحتراق . ان هذه الوجهة الجامدة غير المقاومة Passive هى موجودة على كل حال . ولكنها ليست الكل فى الكل حتى وليست هى بالجزء الاهم من الاختبارات فى غايات التعليم . ويعتبر أهم منها ما نعمله بصورة فعالة فى انفعالنا وبتعبير أحسن ما نحدثه نحن بالابداع الموجد . Creatut Initiative لو لاحظنا الاختبار جيداً لوجدناله وجهتين الواحدة جامدة لازمة والاخرى فعالة متعدية . إن كلتا الوجهتين ضروريتان وكلتاهما يعلماننا . ولكننا بالوجهة الفعالة نصل إلى أسمى حياتنا . وفى هذه الوجهة نتقدم وراء الحيوان أو النبات . وإن أسمى انواع الاختبار هو ما للنفس فيه الحصة الكبرى . وعندئذ نقول فى الغالب بأن الدافع للعمل منبعث « من الداخل » إن هذه الحقائق معقدة نوعاً ما . إذ عندما ننظر إلى الموقف الواسع يصعب علينا أن نقول هل الاوضاع الداخلية هى التى سببت الحركة أولاً أم الاحتياج الخارجى . فالاحتياج فى بعض الاحيان يرى من جديد فيحركنا الى العمل . وفى الاحيان الاخرى يحركنا أولا حنين عميق أو اشواق عميقة الى عالم أحسن . حنين يشبه جوعاً روحياً ، ويجعلنا نحس باحتياج معين . ان هذا الحنين او هذه الاشواق تجعلنا ، على كل حال حساسين لنداء الموقف ، وفى احوال كهذه لا يشعر المرء بالمنبه للعمل الفورى مالم يكن له محرك سابق يؤثر من الداخل : سبق فهيأه لاستعداد منتظر فجعله يحس بهذا المنه ولا يحس بغيره من آلاف المنبهات الممكن وجودها اذ ذاك . ان هذا الوجه البارز — الوجه الفعال للاختبار الذى طالما يهمل — هو الذى نود تأكيده هنا . وكلما تحسن بناء السجية كلما ظهر هذا الوجه للاختبار بازدياد . وان الشخص الذى يمتلك سجية كهذه

يصبح ، ما نسميه ، شاملاً - ذاته Self entained . هو السبب للافعال في الغالب و لذلك فهو ذو حرية نامية . و يقل كونه العوبة بيد الظروف . هو يستعمل اختبارات الاخرين اكثر من غيره لا اقل ، ولكنه يستعمل ما عمله أو علمه الاخرون لغايات هو يعينها ولمقاصد هو يشعر بها ويريدها . فهو بذلك يستعملها كواسطة. أضف الى ذلك أنه يكيفها ولا يأخذها بتلهف كما هي . ان هذا الوجه العملي ، الفعال ، المريد للاختبار هو ما نطلبه هنا . وهو لا ينمو الا بالممارسة . وفي التربية بمفهومتها الصحيحة يصبح الاستعمال النامي لاختبار كهذا غاية و واسطة لغاية معاً . اذن فعلى المدرسة أن تزود تلاميذها بهذا الاختبار الفعال .

الاختبار الاجتماعي في المدرسة

وفضلاً عن ذلك فالاختبار يجب أن يكون اجتماعياً . ومالم يكتسب الاختبار الصفة الاجتماعية فانه في الحقيقة ضئيل وفقير . يمكن أن نفتكر عن الاختبار الاجتماعي مع اصدقائنا ومن هم حولنا أولا . ففي المدارس الجيدة يقتسم التلاميذ الاختبارات و يتضامنون في المشاريع المشتركة من أجل التربية و يشعرون أحياناً بتضارب المقاصد المتنافرة ولكنهم في الغالب يشتركون في الغايات العامة . في الاخذ والعطاء الناتج عن الاختبارات المباشرة مع الاخرين تحصل الجماعة الصغيرة باحتكاكها الجديد على أثمن الفرص التهذيبية وهذه هي الاساس لكل شيء سواها . ومن هذه تبرز الحياة في المناحي المختلفة . ثم تأتي الجماعة الكبيرة حيث لا يستطيع المرء أن يرى الاخرين أو أن يتحدث معهم بعد . التعديل أو التكيف هنا كما رأينا من أصعب مشاكل الهيئة الاجتماعية الكبيرة . ولأجل الوصول الى احسن ما يمكن من التعديل او التكيف نريد أن يتوسع تماس الجماعات الصغيرة تدريجاً حتى تصبح وحدات كبيرة فيجب السعي وراء روابط عديدة . ولجان الصنف يجب أن تتعاون مع

وحدات أكبر و أبعد بالزيارات والبريد و بالخدمة الفعلية و بالتقارير المتبادلة . وتجب العناية الكبرى فى الحصول على الاتساع الفعلى على ألا يأتى بالسرعة الزائدة و بالطفرات الواسعة . والنمو هنا هو ابطأ مما نظن فى الغالب .

والمسافة الاخرى التى يجب أن تقطع هى بين اختبارات الجماعة الصغيرة والثقافة الكبرى التى حولنا، المخزونة فى الكتب وفى المؤسسات . والطريق الطبيعى للوصول هنا هو المشاريع المشتركة لجماعة الطلاب . لقد قلنا انهم يحتاجون لنجاحهم الى حكمة النوع المتجمعة . هل من حصن يبنى فيقدر الطلاب أن يعرفوا منظره من الخارج ومن الداخل؟ ماهى الكتب وما هى الصور التى تقص القصة ؟ هنا أيضاً يجب أن يكون السير تدريجياً ليس سريعاً بل أكيداً . فاذا احتاج الطلاب ففتشوا فوجدوا فان النجاح يغرس فيهم عادة الذهاب لأجل التفتيش فيما بعد عند حصول الحاجة . نحن نرغب دائماً فى أن نجعل تلاميذنا متحركين فعالين جائعين قليلا أيضاً كما يقول ذلك افلاطون عن الكلاب التى تحسن الصيد . فعندما ندفع كل مانخزنه من الافكار الى طلابنا بصورة سريعة لأجل أن يهضموها و يتمثلوها بسرعة زائدة فانا نسبب لهم سوء هضم عقلى لا نمواً . ومن سوء هضم كهذا يأتى الكره والاشمئزاز الذى نشاهده فى الغالب . لايخافن أحد من أن الخطة التى ندعو اليها تستخف بالمخازن الغنية التى تتكون منها اسمى ثقافتنا . بل يصدق العكس تماماً . وحسب راى الذين جربوا هذه الخطة انها تنتج ثقافة أغنى ـ فى المعنى الصحيح للثقافة ـ من أى خطة من الخطط الرسمية العتيقة . بل ان هذه الخطة تعدنا باستعمال الثقافة بصورة أوسع واكثر . وهل من حاجة للكلام هنا لنوضح بأن السير على هذه الخطة سوف يتبع ، الا فيما قل وندر ، تلك الجدران التى يقيمها المنطق بين الفروع المدرسية فيفصلها الواحد عن الاخر؟ ان بعض الاولاد

المتقدمين فى السن كانوا يصنعون حصناً من « الباطون » اى (الكنكرى) Concret هل كان مايدرسونه فناً ؟ نعم ، لقد بدأوا «بالتصميم» مع معلم فن واسع الفكر . ولكن لنتساءل قليلا: ألم يكن فى ذلك تاريخ - و وقائع حربية أيضاً ؟ ألم يكن فيه كيمياء أو فيزياء أو الفن الذى يعلمنا صنع الكنكرى ؟ . ألم يكن فيه اللغة الانجليزية الشفهية اذ على الاولاد أن يبينوا يوم المعرض شفهياً كلما عملوه ؟ ولماذا لم تقل فيه دروس اخلاقية - اجتماعية؟ فان الاولاد قد تعلموا أن يركبوا فروقهم مع بعضها ويوحدوها ثم يثابروا على العمل. فان العمل بعد الفشل يتطلب منهم قوة اخلاقية متزايدة . ألم يكن أيضا درساً اجتماعياً - اخلاقياً بصورة أوسع عندما يدرسون أهمية الحصن فى ايام الحروب حيث كان الجشع الغزوى يخضع فى الاخرة أمام القانون والنظام ؟ فقد كان الاولاد يتعلمون كل هذه المواضيع واكثر . فما قولنا عن الفروع الدراسية اذن ؟ ألا محل لها اذن ؟ أما كون كل ما يتعلم وحينما يتعلم يجب ان يربط بما يشابهه منطقياً ليكون بمرور الايام وحدة كاملة ممحصة ومن ثمة يؤدى الى الفروع المستقلة — فذلك نسلم به ، اذا لائم الذوق الفردى واذا تقدم الفرد حقيقة الى تلك الدرجة . ولا يصدق هذا على كل فرد . ولكن التعلم فى البداية يتبع الاستعمال وليس ترتيب الفروع . فيجب أن يكون كذلك . وعلينا ان نعرف ذلك فنعمل بموجبه .

التربية بفعالية التلميذ

لقد رأينا بأم اعيننا بأن التلاميذ يجب ان يكونوا فعالين وأن مشاريع التلاميذ يجب ان تكون الوحدة النوعية لسير التعلم . كل هذا عرفناه . وما نريد ان نلاحظه هنا هو ان هذه الظروف ليست هى احسن الظروف للتعلم فحسب بل ان احسن المزايا الاجتماعية المطلوبة تتكون فيها ايضاً . لقد رأينا الى اية درجة شديدة يؤثر العزم والاوضاع فى تعيين التعلم . وان الاوضاع والعزم أحسن ما تؤثر عند ما يشتغل التلاميذ

بفعالية فى مشاريع يشعرون أنها تخصهم وهم مستعدون أن يتحملوا المسؤولية من أجلها . بالطبع أن كل معلم يعرف بأن هذه حالة تمنيها أسهل من ادراكها ولكن بمقدار ما يمكن الحصول عليها بذلك المقدار تكون الظروف اللازمة للتعلم قد تهيأت و يكون الحس بالمسئولية عن المشروع الذى فى اليد قد تكون. يجدر بنا أن نلاحظ بصورة خاصة: بما أن الفعالية المقصودة هى نموذج للحياة الجديرة لذلك فانها تظهر فى المدرسة كمثال للحياة باسمى مظاهرها. الفعالية المقصودة هى نموذج للحياة ، مثال حقيقى للحياة الفعلية . وما أغناها بالامكانيات ! أن تتبع قصد صعب قبوله تربيوياً عبارة عن مجابهة موقف اخلاقى فعلى بصورة قطعية . (هل هـــذا جدير ليتبع أم الافضل ان أتركه ، هل أعترف بأنى أخطيت وأنتقل الى شىء آخر ؟) وكل قرار يتوصل اليه بدقة وجدارة و ينفذ حسبما يقتضى الضمير ذلك عبارة عن ربح اخلاقى . هنا تكون الحصانة الاخلاقية . واذا كان المشروع مشتركا ــ واكثر المشاريع فى المدارس الاولية يجب أن تكون مشتركة لا كلها ــ اذ ذاك تظهر الخطورة الاجتماعية . و بقدر مانجابه أى واحد من هذه المطاليب بتعقل اكثر بتلك الدرجة نخطو الى الامام أخلاقيا . فان قبول تحمل المسئوولية هو الطريق الوحيد الذى يستطيع الفرد أن ينمو فيه فى ممارسة المسؤولية . وفى كل هذه الطرق نرجو أن نبنى الاخلاق المتينة المطلوبة .

ان عالم التبدل الجديد اكثر مايتطلب التفكير . و ان مشاريع الطلاب اذا اديرت بتبصر فانها تستدعى التفكير فهم يتمرنون على التفكـــير و يفحصونه احسن من أى شىء آخر . التفكير ضرورى فى كل دور من الادوار و فى التفكير يحصل كل دور على الارشادات الطبيعية و بالتفكير اولا و آخراً ترتبط الفكرة بالفكرة فتنظم للاستعمال المقبل

نوعاً من الاختبار بما فيه من ظواهر و بواطن ؛ ليس الفشل فيه باقل اهمية من النجاح . فالتفكير اذن محاك بسداة و لحمة حياة التلاميذ وسجاياهم . اضف الى كل ذلك ان الولع الذى يشعر به التلاميذ فى مشاريع كهذه يؤثر تأثيراً طيباً فى تعلمهم تحت ظروف النجاح الاعتيادية — وهذه هى الاوضاع الملازمة التى بحثنا عنها آنفاً . فاذا تحرك الولع و الجهد لدى التلميذ فانه سينتج نجاحاً مناسباً و بالتعاون و التبادل والارشاد من المدرسة و المعلم نتأمل اوضاعاً طيبة نحو الاشياء الجيدة — نحو المشروع نفسه ، نحو المدرسة ، نحو المعلم ، نحو الدرس و الاجتهاد نحو انفسهم كعاملين اكفاء فى هذا المضمار . و يمكن ان نلخص القضية كلها بقولنا : بمقدار مايؤدى الولع الفعال بالتلميذ الى التعهد بالمشاريع المناسبة ـ المثقفة بدرجة كافية ، و الغير متطرفة فى السهولة او الصعوبة ـ بهذا المقدار يحتمل النجاح فى المشروع مع ما ينتجه النجاح من النتائج الحسنة ، و بهذا المقدار تتهيأ الظروف المطلوبة لانواع التعلم الجيد . و بهذا المقدار يحتمل ان ينتج التنظيم الحسن . و كل هذا ينافى بصورة بديهية و قطعية ذلك النوع من التربية الذى ـ بموجبه ! ـ لا يعمل التلاميذ إلا مايؤمرون بعمله . و ان بيان تعاكس هذين النوعين المتطرفين للتربية واظهار بينهما من الفروق القيمة لا يعنى بأنه لاخير يحصل من التربية العتيقة او انه لم يحصل منها . فقد كان العكس صحيحاً فى الغالب

ان منابع العمل متنوعة فقد نشأ البعض تحت نوع من الظروف التى نحن نرفضها اليوم . ولقد قال الدكتور جونسون : (لقد كان معلمى يضربنى بلا رحمة و بكل قساوة والافلم اكن لاعمل شيئاً) اما كون نجاحه ناشئاً من هذه المعاملة التى لقيها او بالرغم منها فانه موضوع قد نتجادل فيه . لا نستطيع ان ننكر نجاح الدكتور . يجب ان نسلم بذلك للتربية العتيقة و على كل فولينا ان ندعوا الى وجهة السير التى تؤملنا بخير اشمل . لقد

رأينا بأن فعالية التلميذ فى المشاريع التى يشعرون انها تخصهم آخذة بالازدياد فى كل المدارس الجيدة فى العالم . وهذا هو العامل الذى يجب ان يتميز به عمل المدارس الجديدة وهو يكون السجية التى نرغبها والاساس آخر للعمل يؤملنا بالنجاح الذى تتطلبه الحضارة الحالية .

المكانة الجديدة للمواد الدراسية

ان مكانة المواد الدراسية فى المدرسة الجديدة وعلاقتها بالنظام الاجتماعى الجديد قد اشرنا اليها تواً بصورة غير مباشرة . نحن نعتقد ان المواد الدراسية هى مبدئياً طرق انتهاج . واثمر مفهومة للتعلم هى أنه عبارة عن اكتساب أساليب انتهاج ؛ لقد كانت الفكرة العتيقة عن الطفولة انها زمن ضائع على كل حال ، اذن فالافضل أن يشغل هذا الزمن الاعداد للحياة الحقيقية المقبلة حياة الرشد . وعلى أساس هذه الفكرة جرب الناس أن يعطوا الاطفال ماقد يحتاجونه فى الحياة المقبلة . لقد بدأنا الان نرى عقم هذه الخطط . فليس أفضل استعمال للعقل ان نعتبره مخزناً أو محلا لخزن الاشياء الجامدة . بل أفضل استعمال للعقل هو جعله مشتغلا فى هذا الدور يدير المشاريع ويجابه المشاكل التى تستدعى الجهود الحالية . و بهذه الطريقة تحفظ التعليمات والافكار السابقة حية وفعالة . كل مسألة جديدة تجابه فتحل تدمج القديم بالجديد معاً وتبنى العقل على قدر هذا الدمج . واذا استمر شئ كهذا على الدوام فسيحصل النمو المستمر . ينتج من ذلك كما رأينا سابقاً تجديد بناء مستمر للاختبارات . بناء على هذه المفهومة كل مادة مهمة من مواد الدراسة تعنى خطوة مهمة فى اثراء الاختبار ، وحصولنا على المواد الدراسية المطلوبة يعنى الحصول على النمو . وبالعكس اذا حاولنا اعطاء الطفل مواد دراسية قبل أن يطلبها هو ، فذلك يعنى فقدان الفرصة للنمو بهذا المقدار . ان هذا النمو المستمر عينه هو ما نحتاج اليه فى عالمنا الاجتماعى الجديد المتبدل .

منهج الدراسة الجديد

نجابه اذن مفهومة جديدة لمنهج الدراسة وهى كونه محتوياً بصورة موافقة على سلسلة اختبارات مدرسية تحدث تجديداً مستمراً لبناء الاختبار. و يظهر ان مفهومة كهذه هى أحسن ما يوافق مطاليب حضارتنا الحراكية المتبدلة . وان الفكرة العتيقة كانت تتضمن حضارة قرارية ذات مشاكل محلولة تواً ، وكان واجب التربية اذ ذاك تسليم هذه الحلول الى الناشئة الجديدة ، وكان المنهج عبارة عن الترتيب المنظم لهذه الحلول التى انجزت سابقاً . و كان التعلم عبارة عن اكتساب هذه الحلول الاتية من العصور القديمة . وكانت « الطاعة » أو « الانقياد » هى أسمى فضائل الاحداث وهى عبارة عن الجمود وقبوله الاشياء بدون رد فعل ، ولكننا الان نجابه مستقبلا مجهولا . و يجب أن نعد ناشئتنا بطريقة مختلفة . و ان ما يجب ان نؤكد اليوم هو استعمال القديم و تكييفه بصورة فعالة فى مواقف جديدة و لمواقف جديدة . نحن كمعلمين يجب ان نقل من التعليم وان نسعى لان يقل الاحتياج الى تعليمنا بالتدريج . و ان الجيل الحاضر يجب ان يعزم على التنازل عن سلطته فى الحكم الى الجيل الناهض ، وان المفهومات الجديدة للمواد الدراسية و مناهج الدراسة يجب ان تعمل عل سد احتياج كهذا . و انها يجب ان تبنى بقصد على مبدأ التبدل الجديد . و فى هذه المفهومات الجديدة ، يدار سير التربية و الحياة من الداخل ، كما ان السير نحو الهدف يعين من الداخل . هى الحياة تدبر نفسها بنور الماضى ولكن غير خاضعة له . هى الحياة تستخدم الماضى والحاضر كواسطتين تنظر بهما الى المستقبل الى أبعد ما تستطيع ، ولكنها تجرى فى الحاضر والحاضر هو الزمن الوحيد الذى تجرى فيه الحياة . ولتهدئة روع البعض لنعجل بالقول بأن الحياة الحياة فى الحاضر لا تعنى لاجل البرهة الحاضرة فقط . والنمو كما رأينا عبارة عن أن نحسب للحياة حسابها

على الدوام عندما نضع قراراتنا . فاذا ما عشنا بهذه الصورة فى الحاضر انما نقصد الحاضر بمعناه الواسع : الحاضر الذى يحمل المستقبل فيه كما تحمل الام فى داخل نفسها طفلها الذى ربما كان اثمن جزء من نفسها وان مفهومة كهذه للحياة لاتستلزم رضوخ الحاضر للمستقبل ولا المستقبل للحاضر وانما ترى وتقدر بأن الواحد يؤدى بالضرورة وبالتمام الى الاخر.

وان هذه المفهومة لمنهج لدراسة هى فى الواقع مختلفة كل الاختلاف عن المفهومة السائدة لحد الان . فمنهج الدراسة الجديد يتكون من الاختبارات . هو يستخدم المواد الدراسية ولكنه لا يتكون منها ان المنهج العتيق كان محتوياً على المواد الدراسية التى كانت تحفظ لان تعاد عند الطلب . بينما جوهر المنهج الجديد عبارة عن فعالية الطفل تعمل وهى فى حاجة لاجل اختباراتها الحاضرة الى طرق انتهاج افضل. وفى توليد طرق الانتهاج الفصلى هذه تستخدم المواد الدراسية . هكذا يجابه كل موقف جديد آت وخطر هو السبيل الذى يجابه العالم المتبدل به مشاكله الاتيه على الدوام . ومع ان الاختبارات يمكن الى درجة ما أن تعرف سلفاً وتدار - اذا كانت اختبارات مربية حقيقة فقد يعسر امكان احضارها دفعة واحدة . اذن فلا يمكن اعداد المناهج بالضبط سلفاً . يجب ان يكون لدى المعلم سلفاً الشىء الكثير حاضراً للاستعمال ، كالاخبار احياناً ، وكمصادر الاخبار فى الاحيان الاخرى ثم بعض الاساليب المعينة الميسورة عندما تستدعى الظروف ذلك . يجب ان تكون للمعلم خطط فى كل الاوقات ويجب ان يساعد المعلم دائما فى ادارة الاعمال ولكن غايته يجب ان تكون تكوين التلاميذ . اذن فالمعلم سيختط على الاكثر خططه لجعل التلاميذ يديرون انفسهم بانفسهم الى اعلى حد ممكن وان يتبعوا غايات تجذبهم اليها بحيث

تستدعى اعلى حد ممكن من النشاط والفعالية . وهذا هو ما يجب ان يشغل اوقات المعلم بجهوده و ليس تكميل التلاميذ مقداراً معيناً من الدروس او اكتسابهم كمية معينة من المواد الدراسية . وان منهجاً من هذا الطرز هو ما يؤملنا بمساعدة الفرد عندما يصبح راشداً و عندما تجابهه مشاكل العالم التى تظهر كل يوم من المستقبل المجهول . وهذه حسب مايظهر هى الطريقة الوحيدة لمجابهة المستقبل المجهول .

تجابهنا هنا فكرات عديدة دفعة واحدة . فالمنهج المحتوى على المواد الدراسية الثابتة سلفاً يربط المعلم و التلميذ معا . ولقد كان بوضعه العتيق المتطرف يحافظ على الوضع الراهن بصورة تدعو الى الاعجاب كما انه كان يتعهد بتكوين الاوضاع التى تتعلق بالوضع الراهن . وكانت السلطة الخارجية هى الاساس ، و بقاء الاشياء على حالها هو الدليل ، و الطاعة العمياء هى الطريقة ، و كانت المادة الدراسية القديمة خلواً من كل ماهو جدلى (اللهم الا اذا كان قصد المعلم الانتماء الى جهة و محاولة حل المسئلة بقوة السلطة الخارجية كما يحصل ذلك فى تعليم الدين عادة) . وكانت الادبيات القديمة و الرياضيات تناسب المادة القديمة كل المناسبة . اذ فى كل هذه لا يلعب التبدل اى دور مهم . ولما دعت الحاجة الى ادخال مواد جديدة باز دياد مطرد فقد ادخلت هذه المواد مبنى لا فعلا . فقد كانت الدروس المدنية العتيقة تعلم القانون الاساسى و بناء الحكومة و لكنها لم تتعرض و ان تعرضت فقليلا بالمسائل الداخلية فى الوقت الحاضر . اما وجهة النظر الجديدة فانها مختلفة جداً فانها تؤكد مفعول الحقائق . وان اشتغال المعلمين و التلاميذ معاً فى مسائل غير محلولة هو على مايظهر من اهم الجهود المدرسية و اكثرها تهذيباً . وان الشعور بالاقدام المترابط هو فى ذاته محرك لاحسن ماعند الافراد . وهنا ايضاً نرغب فى ان يعين المدرسون

و التلاميذ معاً مناهج بانفسهم . فانهـــا تصبح منهم ولهم بمعنى جديد و بدرجة جديدة .

و بالمناسبة من دواعى الاسف ان بعض المفكرين قد يكونون من المتجددين الذين يهمهم كثيراً امر تجديد المناهج الدراسية لولا انهم لا يزالون يفتكرون فى هذه الاونة بتثبيت المناهج الدراسية و تحديدها للمعـــلم و التلميذ سلفاً . نحن نسلم لهم بأن لارائهم الخبـــيرة دوراً لا يثمن فى انتقاء المشاكل المعيرة بصورة علمية فى ربط المواد ببعضها وتنسيقها كما اننا نسلم بأن المدرس المدرب الخبير يجب ان يستفيد فائدة جديرة من المواد التى هم يجمعونهـــا بهذه الصورة و لكننا لانستطيع ان نحل المشاكل على اساس المحتويات وحدها « الاستعمال الموافق » يعنى هو اكثر من الطاعة العمياء وان الواحد منا ليعجب كيف يشعر هؤلاء المفكرون الجالسون على كراسى الجامعات فيما لو اعطيت لهم مواد المنهج من خبراء اعلى منهم بصورة منظمة و منصوصة . كلا ، ان الشوق للتحرى و مسؤولية اختيار المواد ضروريات للحصول على افضل انواع التعليم دع الخبير يربى المعلم الى اعلى حد ممكن على التفكير . دعه ايضاً يجمع كل المواد القديمة للمنهج . نعم ، كل هذا . ولكن دع المعلم يدير نفسه بنفسه و ان يشترك جيداً بالمعمل التعاونى ، الفيلسوف و العالم والمعلم والتلميذ — كل له دوره اللائق به حيثما نجد ، كما هى الحالة فى الغالب ، ان بعض المعلمين يحتاجون الى مساعدة فعلية اكثر فلنمدهم بما يحتاجون اليه ولكننا يجب ان نعترف بماهية هذه المساعدة بصراحة بانها عبارة عن افضل تدبر ثانوى مجبورون على اتباعه فى الوقت الحاضر مع البعض الذين هم لم يستعدوا للعمل الكامل أو الموافق بعد . وكلما عجلنا بالاعلان بأن التعليم ليس بعمـــل يدوى فى معمل (فابركة) ، انما هو مهنة ! كان ذلك افضل و الا فالخطر جسيم . ان الحضارة لاخذة

بالتقدم تعتمد على التربية كثيراً فلا يصح ان تسمح للمدارس بعد ان تبقى سالكة سبيل الحدس والتخمين. التعليم يجب ان يصبح فناً سامياً مؤسساً على الحرية فى العلم والفلسفة معاً. وعلى هذا النوع من التعليم وعليه وحده تستطيع الهيئة الاجتماعية أن ترتكن لاجل بقائها واستمرارها.

الثقة بالتلاميذ فى التربية الجديدة

وما قولك فى التلاميذ — هل يمكن وضع الثقة فيهم؟ الجواب هو أننا لنتساءل ما الذى نسعى وراءه؟ هل نريد أن نثبت سلفاً ما سيكون عليه تلاميذنا وما سيفتكرون فيه وهل ستثبت سلفاً الاجوبة التى سيردونها لمشاكلهم؟ اذا كان الامر كذلك فلا يمكن الاعتماد على التلاميذ اذ لسنا متأكدين بأنهم بعد التفكير الصحيح سيتوصلون الى اجوبتنا نحن. نعم، قد يتوصلون الى البعض من اجوبتنا. اذ المواقف التى علمتنا هذه الاجوبة ستعلمهم أيضاً. ولكن الاجوبة الاخرى تختلف. وان الموقف لو ترك وشأنه يعلم شيئاً مختلفاً عما نعلم نحن. ولكننا اذا أردنا أن نعتمد على الموقف فى التعليم واذا أردنا أن يتعلم اطفالنا التفكير والعمل المستقل علينا أن نثق بهم. فانهم لا يتعلمون التفكير والتمييز والمسؤلية لأجل النتائج. هل علينا اذن أن نكف أيدينا وننسحب تماماً؟ كلا. علينا ان نعتنى بالسجايا النامية، وان نساعدها على النمو. كم من التحريك والاقتراح والارشاد يجب أن يصدر من عندنا؟ بقدر ماهم يستطيعون أن يستفيدوا من ذلك بحكمة. وكم هو ذلك؟ كيف نستطيع أن نعرف؟ القياس هو ما يتعلمه الطفل. فاذا كانت اقتراحاتنا تجعل الطفل ينمو عالة علينا أو معاكساً لنا اذ ذلك يحتمل ان نكون متعدين حدود فعاليتنا. وعلينا اذ ذاك ان نعطى الطفل حرية اوسع. اى نوع من الحرية؟ وكم من الحرية يجب ان تمنح الطفل؟ بقدر ما يستطيع ان يستعملها بحكمة

وهنا ايضاً القياس هو التعليم الناتج . فاذا نشأ الطفل انانياً وصار يجزم دائماً بدون مبالاة بالحقائق الراهنة المعلومة اذ ذلك هو مخطئ . اذ انه لم يستفد من الفرص السانحة له كما يجب . وربما كنا نحن مقصرين فى فى مساعدته . وقد نكون ساعدناه بصورة مغلوطة . وكل حالة يجب ان تعالج حسب الخطيئات التى فيها ولكن القياس دائماً هو ما يتعلمه الطفل والمعلم الحكيم يفهم من الاشارات . الثقة بالطفل بصورة معقولة هى الطريق الوحيد للتربية .

وهنا ايضا اخذت المدارس الجديدة تشتغل . فان غاياتها عبارة عن تكوين اشخاص ذوى سجايا قوية وذوى عقول اجتماعية يحكمون انفسهم بانفسهم . وللوصول الى هذه الغايات فانها تحاول ان تثق بالطفل . لماذا تقول ، تحاول أن تثق بالطفل؟ لماذا تقول تحاول ؟ »

الجواب هو أن التربية كلها تجريبية . فكل طفل سوى هو معقد وغير محدود بدرجة لا تسمح لنا أن نتنبأ عما سيعمله . قد نتنبأ ضمن حدود ، نعم ؛ أما التنبؤ بالضبط والتحقيق فلا . إذن فنحن نبسط غاياتنا من التربية مع العلم التام بأننا نتعامل مع امكانيات واحتمالات غير محدودة . وقد نذكر غايات متناقضة للتهذيب أو الافضل أن نقول انها تصحح بعضها بعضا بالتبادل . نحن نريد سجايا قويمة نتمسك بما نعتقد به بأمانة ونريد فى الوقت نفسه تعاوناً متبادلا مصحوباً بالاخذ والعطاء الموافقين . التمسك بالرأى والتعاون المتبادل يجب ان يضع كل واحد منهما حداً للآخر . كم من كل واحد منهما ؟ لا توجد كمية ثابتة ولا نسبة معينة . لا نستطيع ان نضبط العالم الاخلاقى بالرياضيات . وعليه فالاسباب عديدة لا نستطيع فى المدرسة أن تقيد بشىء معين . وعلى المدرسة ان تبقى مع الحياة تجريبية . المدرسة الجديدة تحاول ان تثق بالطفل

و بازدياد المعرفة و المهارة ستنجح فى تزييد الثقة فيه من يوم لآخر. عند ما نفكر بالخمسة وستين جلدة يومياً لار بعمائة تلميذ وذلك قبل سبعين سنة فقط نفرح للرقى الذى حصلنا عليه. التربية قد سارت الى الامام وقد تعلمنا اليوم كيف نثق بالطفل أحسن من السابق. وهنا مجال واسع للتقدم بعد. وان اكثر المدارس اليوم لاتزال متخلفة عن المدارس الجيدة. واكثر من ذلك — فان الفلسفة الجديدة والسكلجة الجديدة لاتستطيعان ان تقررا كل مضامينهما فتدبرا الاساليب الموافقة لهما فى ليلة واحدة. فان التفكير الطويل والاختبار الكثير لايزالان ضروريين. و فى الحقيقة ان السير مستمر دائمى. وما نرجوه اذن هو منحنا الفرصة للتفكير والاختبار. واذا كانت الحضارة ترتكز على التربية — وهى فى الحقيقة ترتكز — اذن فالجهود فى سبيل التربية جديرة بأن تنشط وهى تستحق الثمن.

الهدف فى التربية باستقامة

كلمة وداعية واحدة. لانستطيع ان نعلم مالم نعرف الهدف. ماهو الهدف؟ وكيف يجب ان ننظر الى الشخصية الانسانية؟ ان الفلسفات العتيقة كانت تجد الهدف فى هذه الغاية الخارجية او فى تلك. فقد كانوا يضعون فى السابق غايات هى خارجة عن الحياة او ما وراءها تماماً وعلى كل فقد كانت تلك الغايات هى خارج حياة المتعلم على الاقل. وعليه فقد كان المتعلم نفسه عبارة عن واسطة لتلك الغاية الخارجية. وان التاريخ يرينا بأنه اى المتعلم وحياته أخذا بتلك النسبة، يتصاغران و يتضاءلان. وكانت الغاية الخارجية عند المتقشفين الاوائل والمتزهدين عبارة عن الحياة بعد الموت. وقد جعلها البعض الاخر عبارة عن مجد الامبراطورية اودوام السلالة الملكية او انتشار مبدأ او دوام طبقة عليا فى الحكم الى غير ذلك. و فى كل واحد من هذه الاحوال فان

التربية تنحط و تفسد وتصبح عبارة عن تدريب لاجل الحصول على مجموعة عادات واوضاع جاهزة سلفاً أو عبارة عن التقمص بمجموعة افكار منتخبة سلفا اما الفرد فتنكر عليه شخصيته تماما . لايمكن لهدف لهذا او لاسلوب كهذا ان يدوما صالحين دائما وان الانسانية الحساسة تأخذ بالنفور منهما على الدوام . وبعدبسط هذه الافكار فانا نتخذ هدفا لنا ، على قدر المستطاع ، ذلك النوع من الشخص الذى يقدر ويميل لان يفكر بحرية بدون ان يعرقل تنكره التحيز او التعصب وان يجزم بدون انانية مفضلا الصالح الاجتماعى على اى مجرد صالح او ربح خصوصى ، فالهدف الوحيد الذى نستطيع ان نقبله هو الهدف الذى يوفى الشخصية حقها .

ولكن توجد وجهة نظر اخرى . اختر نموذجين من نماذج الحياة وقارن بينهما . هل بكل منهما القيمة عينها ام الواحد احسن من الثانى ؟ هنا نتردد . « انا اعتقد ان هذا افضل من ذاك ؛ ولكن معيارى قد يكون مخطئا ؟ فكيف اعرف ؟ » ترددك فى محله . انت لاتعرف . المعرفة كلمة قوية . فقد تكون مخطئاً . ولكن ابتدىء من حيث انت واعتبر معياراتك الحالية كفرضيات . وطبقها على نماذج اخرى للحياة . جربها فى التاريخ . جربها فى الاختبارات . ادع غيرك ليساعدك فى انتقاد النتائج والحكم عليها . بدل فرضياتك كلما استدعت ذلك الحقائق الناتجة استمر على هذا المنوال . انك لن تنتهى من عمليتك هذه قطعاً كلا ولا العالم يستطيع ان ينتهى منها . وان معياراتك ستبقى الى النهاية — ويجب ان تبقى — فرضيات . هذا هو نوع العالم الذى نعيش فيه . ويجب ان يكون كذلك اذا ماتوقفت الاحوال . وبقيت ثابتة لمدة طويلة فانا ننسى مزية معياراتنا من جميع الوجوه و يغرب عن بالنا انها فرضيات وهل لاينتج شىء من هذا التحرى الذى لا نهاية له ابداً ؟ لانستطيع

ان نقول شيئا نهائيا ثابتا . اما كون كل فرد منا يجد جوابا وقتيا ، فنعم وان الفرضية التى ينطوى عليها هذا الكتاب هى ان سير الحياة من بعض الوجوه حسن و يمكن بالجهد المبنى على التفكير ان يصبح أحسن وكل جهد يبذل لتحسينه يأتى بنتيجة مهذبة . والهدف للتربية هو ان تستمر على اثراء الحياة — وتحسينها بالتفكير الحسن والعمل المستمر وهذا بدوره هو تربية ايضا . فالتربية اذن هى الحياة وللحياة . وهدفها داخلى فى الحقيقة . وان هدفا كهذا هو الوحيد الذى يناسب العالم النامى . وان النمو المستمر هو جوهره وغايته .

الحاجة الى فلسفة جديدة للتربية

بما اننا نجابه عالما متبدلا بسرعة جداً فعلى الفلسفة ، حسب مايظهر ان تبنى على اساس التبدل او ان تعترف بانها لاتريد ان تكون قوة فعالة فى مجارى الحياة . وان هذا الكتاب الصغير عبارة عن مجهود لرسم خطة لفلسفة تربيوية تناسب من هذه الوجهة العالم المتبدل الذى نعيش فيه . وإحدى الغايات من هذا الكتاب هى توجيه الانتباه الى بعض مجارى الاقطار التى تعمل الآن وسطنا . ومن هذه ترى البعض يجا به المستقبل بينما البعض الاخر ينظر الى الوراء . وان هذه التى تنظر الى الوراء تضرنا حسب ما يظهر ولا تساعدنا فى الموقف الحاضر وذلك لانها من تركات الخطط القرارية السالفة . وقد يصدق و يا للأسف بأن أكثر افكارنا واساليبنا المدرسية المبنية على التقاليد مؤسسة على هذه النظرة القرارية العتيقة للحياة . وان كلمات مثل يتعلم ، يعلم ، دراسة ، مواد دراسية ، منهج الدراسة ، ترفيع الطالب ، كتاب مدرسى ، الشبحانيات ، المقاييس . مع ما يصحبها من أساليب فعلية كلها تتضمن بصورة عامة نظرة قرارية

راجع كتاب « الدمقراطية والتربية » تأليف جون ديوى . الفصل الرابع . مكملان ١٩١٦

ولذلك فانها تولد تعصباً قبل الخوض فى البحث عنها . فاذا اعان بحثنا هذا على كسر قبضة التقاليد وتأثيرها فنكون بذلك قد نلنا غاية اخرى . ان مجارى الافكار والاعمال التى بين ظهرانينا تستدعى توآ معالجة تكيفية للمدرسة . وان هذه المجارى تستدعى انتباهنا ، الى «ملاذا» أى الاسباب المبررة لوجودها . وكلما أحسنا فهم هذه الاسباب ، كلما استطعنا معالجتها بفطنة ونجاعة . فاذا استطعنا فى بحثنا هذا ان نساعد فى تحرى الاسباب والعلل فقد ننال بذلك غاية اخرى . ان مهمة تجديد بناء التربية بحيث تصبح ملائمة للحاجات الحاضرة لمهمة عظيمة ولا يقوم بها الا جماعه متعاضدة فى العمل . لقد حاول هذا الكتاب ان يتجنب التعقيدات الفنية على أمل ان يستطيع الرجال والنساء أصحاب المهن المختلفه من ان يروا بوضوح علل التبديلات التى تجرى عن مرأى منهم وتحت اشرافهم فى المدارس . لقد دهش الكثيرون لهذه التبدلات وقد تخوف البعض منها كما قد سخر آخرون . اما ان تستمر المدرسة متباطئة وراء تقدم الحضارة فتلك مجازفة عظمى . فعلى المدرسة الجديدة ان تكون مختلفة من حيث الاساس عن المدرسه العتيقة . ان المدرسة الجديدة ستكلف ولا شك دراهم اكثر ليس لاجل الابنية والمعدات بل لاجل الرجال والنساء الذين سيستعملون هذه الابنية والمعدات . أن الابنية الفخمة هى من مظاهر عصرنا الحاضر ويمكن الحصول عليها بسهولة ولكن الصعوبة هى فى الحصول على النوع المطلوب من المعلمين والموظفين . وعلى كل فان اكثر مانحتاج اليه اليوم هو الادمغة المفكرة والتهذيب والسجية ويجب ان نحصل كل هذه وان أملنا الوطيد الوحيدة فى الحصول عليها هو فى تبديل الفلسفة . هذا وان تبديل وجهة نظرنا تبديلا يمكننا من رؤية المزية الاساسية لعصرنا هذا وحاجته الرئيسية الى تربية افضل هو اكبر أمل لنا فى الحصول على المساعدة اللازمة

من عامة الشعب . واهم من الدراهم التى تجذب الرجال والنساء اصحاب المقدرة المطلوبة والسجايا المرغوبة فلسفة تحرر التربية من عبوديتها الداخلية وتمكنها من القيام بعملها الحقيقى بدون عراقيل . وان التربية اذا ماتحررت ولقيت المساعدة اللازمة فانها تستطيع ان تظهر حقيقتها وما تقف من اجله — الا وهو تكوين وتقويم حضارة افضل وهنا كما فى كل مكان آخر يجب ان يسبق تبدل فى الافكار يهدى الى سواء السبيل .

انتهى الكتاب

قائمة المصطلحات

نظراً لعدم توحد المصطلحات العلمية العربية فى الاقطار العربية المختلفة، ونظراً لاستعمالنا بعض مصطلحات غير مألوفة فى البلدان العربية الاخرى، رأينا ان نثبت الاصل الانجليزى وما يقابله من الكلمات التى استعملناها. ولا شك فى أن الكثير من الكلمات الجديدة المنتشرة فى البلاد العربية اليوم استعمالها وقتى اذ كلها تحتاج الى الانتخاب والتثبيت وهذه مهمة لا يقوم بها الا مجمع علمى يضم نخبة من ابناء الاقطار العربية على اختلافها.

A

Absolute	مطلق
Adjustment	تعديل . تكييف
Adult (adults)	راشد (راشدين)
Activity	فعالية
Actual	فعلى
Aggregation	تجمع
Anarchist	فوضوى
Analogy	تشابه
Analysis	تحليل
Appreciations	تقديرات
Association	تداعى
Attitudes	اوضاع
Atom	ذرة
Authoritarianism	السلطة الموضوعة
Autocratic rule	حكم فردى استبدادى
Automatic	اوتومائى

B

Behavior	انتهاج
Biology	بيلجة

C

Change	تبدل
Character	سجية
Characteristics	خصائص
Citizenship	مواطنة
Civilization	حضارة
Classical Example	المثال الخالد
Community	مجتمع
Comprehension	ادراك
Conduct	سلوك
Conception, Concept	مفهومة
Conditioning	اشتراط (تداعى)
Concrete	الباطون (الكنكريت)
Controversial	جدلى
Conventional	اصطلاحى
Conservatism	محافظة
Correlative	موازٍ · محاذ
Criterion	قياس
Critical-mindedness	العقلية النقادة
Culture	ثقافة
Curriculum	منهج

D

Data	معطيات
Demands	مطاليب

Discoveries	اكتشافات
Disintegrate	تفسخ
Disposition	ميل
Discipline	ضبط . انضباط
Deliquent	مقصر
Dynamic	حراكى

E

Education	تربية . تهذيب
Educative	مهذب
Efficient	ناجع
Effort	جهد
Element	عنصر
Electron	الكترون
Emotional, Emotion	هائجى (هائجة)
Empirical	اختبارى
Energy	قوة
Enterprise	مشروع
Equilibrium	موازنة
Ethics	اخلاق
Evolution	نشوء

F

Faith	ايمان
Feudalism	الأقطاعية
Formula	دستور
Formal, Informal	رسمى (لارسمى)
Function	مهمة
Fundamentalists	الاساسيون

	G
Geometrical ratio	نسبة هندسية
Generalization	تعميم
Growing knowledge	المعرفة النامية
	H
Hypothesis	فرضية
	I
Ideal, ideals	مسمى (مسام)
Individualism	الفردية
Indoctrination	تقمص بمبدأ
Inertia	قوة الاستمرار
Inherent	متأصل
Initiate	كرس
Insight	تبصر
Institutions	مؤسسات
Institutionalize	تقرير · تثبيت
Integration, Social	وحدة اجتماعية
Interest	ولع
Interests	اولاع
Invention	اختراع
	K
Knowledge	معرفة
	L
Learning	تعلم
	M
Modernists	المتجددون
Mutation Immutable	طفرة (لا يقبل الطفرة)
Morals	اخلاقيات

N

Non-Cooperative	اللا تعاونى
Normal	سوى

O

Objective	شبحانى
Open-Mindedness	الرحابة العقلية
Orientation	اتجاه
Outlook	نظره

P

Passive	جامد
Physics	فيزياء
Plasticity	ليونة . مرونة
Perversion of facts	تحريف الحقائق
Potential	كامن
Problem	مشكلة
Project	تصميم
Processes	افاعيل
Progress	تقدم
Psychology	سكلجة
Psychologists	السكلجيون
Purposeful Activity	فعالية مقصودة

R

Radio	راديو
Raesoning	محاكمة عقلية
Receptivity	قبول
Recitation	تسميع
Reconstruction	تجديد البناء

Response	اجابة . جواب

S

Scholasticism	الفلسفة المدرسية
Situation	موقف
Self-Centered	ممركزاً ذاته
Self-Control	ضبط النفس
Self-Contained	شاملا ذاته
Skepticism	التشكيك
Sophists	السفسطائيون
Specialization	التخصص
Stimulus	منبه
Subject matter	مادة دراسية

T

Taboos	المحرمات
Tested Thoughts	الافكار المجربة والمفحوصة
Testing	فحص . اختبار
Tendency	نزعة
Trend	اتجاه
Traditions	تقاليـــد
Transfer of Training	انتقال التعلم
Traits	مزايا
Truth	الحقيقة
Technical	فنى

V

Vision	رؤيا

الفهرست

مقدمة المعرب . . . . . صحيفة (ج)
الخطأ والصواب . . . . . « (و)
مقدمة المؤلف . . . . . « (٣)

١

طبيعة حضارتنا المتبدلة

(صحيفة : ٥ — ٣٥)

زماننا المتبدل (٥) — الافكار المجربة والمفحوصة مفسرة لعصرنا الحاضر (٦) — نزعات الحياة الجديدة (١١) — النزعة العقلية المتبدلة (١١) — النزعة الصناعية وعالمنا الجديد (١٥) — النزعة الدمقراطية (١٩) — افول نجم السلطة الموضوعة (٢١) — تأصل التبدل وازدياد سرعته (٢٧) — فلسفة التبدل (٢٩) — الخلاصة والنتيجة (٣٤)

٢

مطاليب الحضارة المتبدلة من التربية

(صحيفة : ٣٥ — ٥٨)

موقف جديد (٣٦) — مدارسنا وكيف جاءت الى الوجود (٣٦) يجب تعويد اطفالنا على التفكير المستقل (٣٩) — التربية العتيقة لم تعد وافية بالغرض (٤١) — المطاليب التهذيبية للموقف الجديد (٤٢) — الحاجة الى تعليم العلم (٤٤) — الحاجة الى عقلية نقادة (٤٥) — مطاليب

التخصص من التربية (٤٦) — مطاليب التجمع من التربية (٤٧) — مطاليب الوحـــدة الاجتماعية من التربية (٤٨) — مطاليب الدمقراطية (٥٠) — التربية ومشكلتنا الاجتماعية المتبدلة (٥٢) — افول السلطة الموضوعة ومطاليبه (٥٣) — حقيقة التبدل السريع ومطاليبها (٥٦)

٣

التربية المتبدلة

(صحيفة: ٥٩ — ٩٤)

التربية آخذة بالتبدل الان (٥٩) — بيان المشكلة (٦١) — المدرسة والاختبار الماضي (٦٣) — المدرسة والاختبار الحاضر (٦٤) — تعلق التعليم بالاختبار (٦٥) — مقارنة بين المدرسة الجديدة والمدرسة العتيقة (١٨) — المطاليب الحالية من المدرسة (٧٢) — نوع المدرسة التي نحتاج اليها (٧٦) — الاختبار الفعال فى المدرسة (٧٦) — الاختبار الاجتماعى فى المدرسة (٧٨) — التربية بفعالية التلميذ (٨٠) — المكانة الجديدة للمواد الدراسية (٨٣) — منهج الدراسة الجديد (٧٤) — الثقة بالتلاميذ فى التربية الجديدة (٨٨) — الهدف فى التربية باستقامة (٩٠) — الحاجة الى فلسفة جديدة للتربية (٩٢)

***

قائمة المصطلحات المستعملة فى الكتاب

(صحيفة: ٩٥ — ١٠٠)

مقدمة المعرب

ليس بيننا من يشك بان الشرق العربى اليوم فى فاتحة عصر جديد . فقد أخذت منذ اواخر القرن الماضى تعمل فيه عوامل شتى تبدل حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية : ولا شك فى ان حركة التبدل هذه قد تضاعفت سرعتها بعد الحرب العالمية فصرنا نشاهد اثرها اليوم فى نزعة الشرق العربي الى الاستقلال القومي والتطور الفكرى والتجدد الاجتماعى والتحسن الاقتصادى وان حركة التجدد هذه ستستمر فى ازدياد سرعتها كلما كثر لدينا الشبان المتعلمون وكلما ازداد انتشار التربية الحديثة بين ابناء الامة العربية .

ليس من مفكر حكيم فى البلاد العربية اليوم يقاوم حركة التبدل والتجديد هذه ؛ اذ عليها تتوقف حياة الشرق العربي ونهضته الحاضرة . وان كان البعض يتذمرون ويتخوفون من تيارات هذا التبدل ذلك لانهم لم يحيطوا بالعوامل التى تؤدى الى ذلك ، كما انهم لم يتمكنوا من مسك زمام هذه العوامل . ولا بد من ان نقول لهذا النفر المتخوف اليائس اولا : ان التبدل اصبح حقيقة واقعية لا مفر منها ، نشاهد آثاره بأم اعيننا ، فى كل يوم وكل ساعة ، فى جميع مناحى الحياة . وثانياً : ان التبدل ضرورى ان شاءت البلاد العربية ان تتبوأ مكانتها التى تليق بها بين بلاد الله ، فلا تبقى جامدة متأخرة . والموقف فى الحقيقة يدعو الى التفاؤل بالمستقبل اكثر من دعوته الى التخوف والقنوط . اذن فيجدر بكل مفكر غيور على مصلحة بلاده ومستقبلها ان يساعد فى احداث هذا التبدل ويسعى لتزييد سرعته ولا يتخوف منه او يتذمر ؛ وامر من ذلك ان يكون حجر عثرة فى سبيله .

بعد ان ادركنا اهمية التبدل لحياتنا المادية والروحية فى هذا العصر

يتضح لنا بان التربية بصورة عامة والمدرسة باعتبارها العامل الرسمي للتربية بصورة خاصة تجابه مهمتين كبيرتين الاولى ان تتبدل هي فتجعل مناهجها واساليبها موافقة لروح العصر مجيبة الى الطلبات الموجهة اليها اقتصادية كانت هذه الطلبات أم اجتماعية أم اخلاقية . والمهمة الثانية هي ان تعمل على بث هذا التبدل والتجديد فتدخله الى اعماق حياتنا اليومية . أجل ، ان اهم واجب على المدرسة في البلاد العربية اليوم هي ان تفك الشعب العربي باسره من قيود التقاليد البالية واساليب الحياة العقيمة وتؤهله لمجابهة عصر التبدل والتجديد في مناحي الحياة على اختلافها .

ليس بيننا من ينكر المشاكل والاخطار الموجودة في طريق الانتقال من الحياة الجامدة غير المتبدلة التي تعودنا عليها منذ قرون الى حياة جديدة متحركة على الدوام . وليس من ينكر على المربي مهمته الشاقة في هذا الانتقال وما اصعبها من مهمة فانها تحتاج الى بصيرة وخبرة واجتهاد ولا بد للحصول على هذه البصيرة التي تستدعي الخبرة وتدفع الى الاجتهاد من فلسفة جديدة تهدي الى سواء السبيل . فقد وجدت الحاجة الى فلسفة كهذه يسير عليها المربي المتجدد و يستنير بها الشعب الحائر المتردد امام تيارات التبدل والتجديد ماسة في هذه الايام . ولهذه الغاية فقد فكرت في نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية مع علمي التام بانه كتب من وجهة نظر اميركية وهو يعالج حالات لا تشبه تماماً احوالنا الشرقية العربية . ولئن اختلفت الاحوال التي يعالجها هذا الكتاب عن احوال بلادنا في بعض الوجوه فانها تتفق معها كل الاتفاق في حقيقة واحدة وهي حقيقة « التبدل والتجدد » . ان التبدل والتجدد قد بلغا شأواً رفيعاً في البلاد الغربية وأخص منها الاميركية ، فكان ذلك سر تقدمها في جميع مناحي الحياة : فما علينا الا ان نستفيد من اختبارات الغربيين ، فنتبدل ونتجدد في طرق تناسب احوالنا وظروفنا المادية والروحية .

مؤلف هذا الكتاب هو الاستاذ وليم كلباترك استاذ فلسفة التربية فى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا وهو يعد من كبار قادة الفكر فى اميركا فى مسائل التربية الحديثة وجعل المدرسة تجارى تيارات التبدل والتجديد فى عالمى العلم والاجتماع فتحرر منهجها واساليبها من قيود التقاليد والعادات وان كتابه هذا عبارة عن وضع فلسفته بقالب بسيط دارج بحيث يسهل فهمها على معدل القراء بدون ان يكون لهم استعداد فنى سابق . ولا بد هنا من ان نشير الى ان الاستاذ كلباترك اذا تكلم عن التجديد فى التربية فانما يتكلم كاستاذ خبير طبق فلسفته على العمل . اذ هو قد اشتهر قبل كل شئ كمعلم قدير بارع ؛ وهو يعد من ابرع المعلمين فى اميركا فى فن التدريس: يدير صفوفه المحتوية على نحو الخمسمائة طالب على الطريقة التكشيفية ، ولا يعمد الى الالقاء الا فيما ندر . فهو فى ذلك مثال حى لبقية الاساتذة والمعلمين فى تحريك فعالية طلابه وتعويدهم التفكير الحر المستقل . ادن يجدر بمربي البلاد العربية ان يتخذوا فى شخص الاستاذ كلباترك مثالا لهم فى الفلسفة والعمل .....

هذا واعتذر الى القارئ الكريم لما قد يجده من النقص فى التعريب او التعبير اذ لا يخفى ما فى التعريب من المشقة ، لا سيما اذا كان الموضوع فلسفياً . وارجو ان يجد فى مادة الكتاب وبين سطوره ما يحمله على التفكير فلا يعود ينتبه الى النقائص اللغوية . والسلام ؟

—١٠ آذار ١٩٣٠—

فاضل الجمالى

كلية المعلمين بجامعة كولومبيا فى نيويورك

الخطا والصواب

وقع فى الكتاب عدة اغلاط مطبعية نرجو من القارئ الكريم تصحيحها قبل البدء بالقراءة .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧	٤	New Orleums	New Orleans
٢٦	٨	أم من	أم عن
٢٧	١٦	الجبل	الجيل
٣٠	١٣	نجدد	تحدد
٣٢	٢١	بالهدو	بالهدوء
٣٤	١٣	نظر	النظرة
٤٠	٧	يعرف	يعرفه
٤٢	١٩	فى شغل	فى الشغل
٤٣	٣	اقتصادية	الاقتصادية
٤٤	٥	تنشئه	تنشئة
٤٤	١٧	التربة	التربية
٤٥	٩	ناحية	نامية
٤٥	٢٢	الافتراحات	الاقتراحات
٤٥	٢٤	فان فقد يظهر	فقد يظهر
٤٦	١٤	مضيقاً	ضيقاً
٤٦	١٥	مسرة دائمة	مسراً دائماً
٤٨	١٨	تنشل	تفشل

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٠	١٢	فيها	فيهم
٥١	١٤	بأن الطفولة	بان دور الطفولة
٥٥	١٢	فما يرجى	فماذا يرجى
٥٥	١٣	ناشئنا	ناشئتنا
٥٥	١٠	على ان هذه وليست	على ان هذه حالة طارئة وليست
٥٦	١١	عندما	عندها
٥٧	١٠	غير المستو	غير المستوى
٥٩	٢٠	لانطباع	الانطباع
٦٣	٢٠	ما يحفظون	ما يحفظونه
٦٦	١٢	ما زال هنا فى	ما زال يؤثر فى
٦٦	١٣	سيتدخل	ستدخل
٦٦	٢٠	ولعدم الصرب	لعدم الضرب
٦٦	٢٤	الحركات بحيث	الحركات الناجحة
٦٧	٥	فاثا انجح	فانا ننجح
٦٩	٥	انتقال المتعلم	انتقال التعلم
٢٩	٢٠	راية اللحم	اراية اللحم
٧٠	٧	الفرع الكبير	الفرع الكريه
٧٢	٦	السطح من التربة الحديثة	سطح التربية الحديثة
٧٣	١٨	التى تمكن الدفاع عنها	التى يمكن الدفاع عنها
٧٣	١٩	الغعلية	الفعلية
٧٤	٩	تؤكد	ان تؤكد
٧٥	١٢	يبقى	باق
٧٧	٨	Creatnt iuitative	Creative initiative

صفحة	سطر	خطأ	صوب
٧٧	٢١	المنه	المنبه
٧٨	١	Sely entained	Self-Contained
٧٩	١٦	سوف يتبع	سوف لا يتبع
٨٢	١٦	اظهار بينها	اظهار ما بينها
٨٣	٤	والاساس	لاأساس
٨٣	١١	الزمن الاعداد	الزمن فى الاعداد
٨٤	١٠	قبوله	قبول
٨٤	١٢	ان تؤكد	ان تؤكده
٨٥	١٣	الفصلى	الفضلى
٨٥	١٤	وخطر هو السبيل	وهذا هو السبيل
٨٦	٢	الداخلية	الدارجة
٨٧	١	مناهج	مناهجهم
٨٧	٧	المعيرة	المفيدة
٨٧	١٤	ضروريات	ضرورى
٨٨	٩	ستثبت	سنثبت
٩٠	١٣	الهدف فى التربية باستقامة	الهدف فى التربية
٩١	٧	تنكره	تفكيره
٩٢	١٥	مجارى الاقطار	مجارى الافكار

LC973.K4R4 c.1
الجنائي الفاضل
التربية لاجل حضارة متبدلة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01022520